



دَعْوَةُ الْإِسْلَامِ

رابطۃ العالم الإسلامي  
الإدارة العامة للإعلام والثقافة  
إدارة الثقافة والنشر

# وسطية الإسلام والأمة المسلمة في عصر العولمة

د. عثمان جمعة ضميرية



كتاب شهري محكَّم يصدر  
عن الإدارة العامة للإعلام والثقافة  
برابطة العالم الإسلامي

المشرف العام  
أ.د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي

المدير العام للإعلام والثقافة  
د. حسن بن علي الأهدل

مدير الثقافة والنشر  
عبدالله بن علي النمري

مدير التحرير  
د. موفق بن عبدالله العوض

الإخراج والتصميم الفني  
حاتم مبارك حميدة

عنوان المراسلة  
ص.ب: ٥٣٧ مكة المكرمة  
الإدارة العامة للإعلام والثقافة  
موقع الرابطة والبريد الإلكتروني:

[www.themwl.org](http://www.themwl.org)  
[dawatulhaqq@themwl.org](mailto:dawatulhaqq@themwl.org)

هذا الكتاب لايعبر بالضرورة عن رأي الرابطة

## ضوابط النشر في سلسلة دعوة الحق

- ١- أن يقدم البحث خدمة للدعوة الإسلامية ويعالج جانباً من مستجدات الأمة وقضاياها.
- ٢- ألا يكون قد سبق نشره أو قدّم للنشر لأيّ جهة أخرى.
- ٣- أن يتصف البحث بالأصالة والابتكار والجدة والمنهجية العلمية وصحة اللغة وسلامة الأسلوب.
- ٤- أن يكون البحث موضوعياً لا يستهدف به تجريح الهيئات والشخصيات.
- ٥- ألا يقل البحث عن مائة وعشرين صفحة ولا يزيد على مائتي صفحة من صفحات السلسلة.
- ٦- يخضع البحث المقدم للتحكيم العلمي.
- ٧- أن يرفق المؤلف سيرته الذاتية وقائمة بأهم مؤلفاته.
- ٨- لا تعيد الرابطة البحث للمؤلف.
- ٩- يفضل أن يكون تنسيق البحث على النحو التالي:  
( أ ) مقاس الصفحات ٢١×١٤ سم.  
( ب ) الهوامش: أعلى، أسفل، يمين، يسار (٢) سم.  
( ج ) الخط لوتس لينوتيب أو مهند، حجم (١٦) عادي.  
( د ) العناوين الرئيسة حجم (٢٠) أسود.  
( هـ ) مع إرفاق البحث على قرص ممغنط ( CD ).  
والله ولي التوفيق.



يمكن الاطلاع على ما صدر عن السلسلة من خلال  
موقع الرابطة :

[www.themwl.org](http://www.themwl.org)

بريد المراسلة : [dawatulhaq@themwl.org](mailto:dawatulhaq@themwl.org)

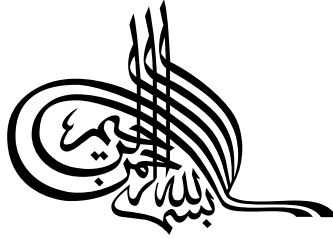
رابطة العالم الإسلامي  
الإدارة العامة للإعلام والثقافة  
إدارة الثقافة والنشر  
سلسلة دعوة الحق كتاب شهري محكم

# وَسَطِيَّةُ الْإِسْلَامِ وَالْأُمَّةُ الْمُسْلِمَةُ فِي عَصْرِ الْعَوْلَمَةِ

بقلم:

**الدكتور عثمان جمعة ضميرية**

أستاذ مشارك بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الشارقة



﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبَلِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِمْ قُلْ

لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٤٣﴾

وكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ

الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۚ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ

مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ ۚ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى

الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ عَمَّا يَتَّبِعُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبُ النَّاسِ

لِرُءُوفٍ رَحِيمٍ ﴿١٤٣﴾

[سورة البقرة].

## مُقَدِّمَةٌ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۖ ﴿١﴾ قِيمًا  
لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ  
الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۖ ﴿٢﴾ مَتَكِّثِينَ فِيهِ أَبَدًا ۖ ﴿٣﴾ وَيُنْذِرَ  
الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۖ ﴿٤﴾ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ  
كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۖ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۖ ﴿٥﴾﴾  
[الكهف: ١-٥].

”اللهم إِنَّكَ رَزَقْتَ الْعِلْمَ خَوَاصَّ عِبَادِكَ وَأَعْيَانَ خَلْقِكَ  
لِنَفْعِهِمْ بِهِ، وَأَمَرْتَهُمْ بِنَشْرِهِ وَبَشَّهَ لِيُتَنَفَعَ بِهِ. اللَّهُمَّ فَانْفَعْنَا بِمَا  
عَلَّمْتَنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِيهَا فَهَمَّتْنَا، وَأَعِنَّا عَلَى نَشْرِهِ لِنَتَنَفَعَ بِمَا عَلَّمْتَنَا،  
وَوَفَّقْنَا لِمَرْضَاتِكَ فِي تَعَلُّمِهِ وَتَعْلِيمِهِ -حَسْبَ عَادَتِكَ الْجَمِيلَةِ-  
عِنْدَ مَنْ تَخْتَصُّهُ مِنْ أَفَاضِلِ بَرِّيَّتِكَ، وَاهْدِنَا لِسُبُلِ السَّدَادِ، وَثَبِّتْ  
أَلْسِنَتَنَا فِي الْمَقَالِ.

وَالْقُوَّةَ بِكَ، وَالْمَعْوَلَ عَلَى إِحْسَانِكَ وَفَضْلِكَ، وَالِاتِّكَالَ عَلَى  
مَعُونَتِكَ، وَالرَّغْبَةَ فِي مَغْفِرَتِكَ، وَالْعِيَاذُ بِلُطْفِكَ وَرَحْمَتِكَ. وَصَلَّى  
اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الْمَخْتَارِينَ“ (١).

(١) اقتباس من افتتاحية ((المعجم في بقیة الأشياء)) لأبي هلال العسكري، ص (٢٧).

وبعد:

ففي حياتنا الثقافية والاجتماعية، في هذا القرن الخامس عشر الهجري (الواحد والعشرين الميلادي) الذي نعيش في ظلّه، ظهرت مصطلحات جديدة، وصار لها سلطانٌ على العقول والأفهام في مجالات الحياة المختلفة، وعلى مستوياتها المتنوعة. وكانت ((العَوْلَة)) صاحبة السيادة والغلبة والانتشار؛ حيث كُتِبَتْ فيها وعنّها كتبٌ ومؤلفات، ونُشِرت بحوثٌ ودراسات، وعُقدت لها المؤتمرات والندوات، فدخلت علينا من كل بابٍ وطاق.

وهذه العَوْلَة أو القَوْلَة<sup>(١)</sup> - فيما ترمي إليه - تنتهي إلى صياغة محدّدة للناس الذين ينضوون تحت لوائها أو يركبون قِطَارَهَا. والويل والثُّبور لمن فاته القطار، أو لم يستظِلَّ في ظل ذلك اللواء!.

و من ثَمَّ لن تكون أيُّ ناحية من نواحي الحياة بمنأى عن هذه العَوْلَة ونجاةٍ من غوائلها. مع أن كثيراً من قضايانا

---

(١) القولبة مصدر قَوْلَبَ يَقُولِبُ، والقالب هو ما تُفَرِّغ فيه المعادن وغيرها ليكون مثلاً لما يُصاغ منها. (المعجم الوسيط: مادة قلب). فكأن القولبة أو العَوْلَة هي إفراغ البشرية وتشكيلها في قالب معيّن يصنعه أهل الغلبة في المجالات السياسية والفكرية والحضارية. وهذا يرادفه أيضاً مصطلحات أخرى مثل: القرية الكونية، والقرية العالمية الواحدة، وأحياناً: الشرق الأوسط الجديد، والنظام العالمي الجديد، ونحوها من الألفاظ والمصطلحات.

وأحوالنا وأفكارنا تأبى بطبيعتها الإسلامية أن تكون موضوعاً أو هدفاً لهذه العولمة، لأنها تتميز بشخصيتها المستقلة عن سائر العقائد والأفكار والمذاهب والنظم. كما أن القول بهذه "العولمة" على الإطلاق والعموم يضع صاحبه في دوامة الخلط والخطأ والتشويش، ويؤدي إلى صراع نفسي- وتمزق داخلي، سببه ذلك التناقض الواقع بين أصل الفطرة ودواعي الإيمان مع الواقع المتفكك من الأحكام.

فقد برزت في حياتنا المعاصرة بعض ظواهر الانحراف في العقيدة والفكر والسلوك، نسخة مكررة لما ظهر في عصور خالية، أو كان بذرة لها، جنوحاً إلى مجاوزة الحد في الغلو والتنطع والتشدد، أو ميلاً إلى الجهة المقابلة في التقصير والتفريط والتهاون والانفلات والتميع.

وانطلقت الأصوات تدعو للوقوف في وجه تلك الانحرافات ومعالجتها، وتوسّلت إلى ذلك - من جملة ما توسّلت به - بالدعوة إلى الوسطية وعدم التطرف.

وفي أثناء ذلك جمع الحماس ببعضهم فوصموا كل ملتزم بدينه - وبخاصة في الأمور المظهرية - بالتطرف والتنطع وجماعة الوسطية؛ فالذي يحافظ على السنن والآداب في عباداته ومعاملاته: متشدد، والذي يبتعد عن الحنا والفجور: متزمت



متحجّر، والذي يجتهد في الطاعة والعبادة: غالٍ في الدّين، والذي يدعو إلى تصحيح المفاهيم ووضع الأمور في نصابها: متنطّع متحذلق، والذي يرتفع إلى مستوى عالٍ وأفق وضيء: خياليٌّ مثاليٌّ، بعيدٌ عن الواقع، لا يعيش حياته وعصره!.

أما التفريط في الدّين؛ بحيث لا يتعرّف المرء على دينه ولا يفهمه كما هو في مصادره الأساسية الموحى بها، أو لا يحْمِل نفسه على الالتزام بأدابه وسلوكه، ولا يأخذ نفسه بالطاعة والعبادة... ولا يبالي بما يرتكب من آثام وموبقات، حيث يُطلق العنان لشهوته وأهوائه، لا يعرف غاية بعيدة يسعى إليها، ولا هدفاً عالياً يعمل للوصول إليه.. فهذا النّهج وأمثاله ليس تطرّفًا في الجهة المقابلة، بل هو - عندهم - سعةٌ في الأفق، وواقعيةٌ في السلوك، وإدراكٌ لحقّ النفس ومطالبها، وانفتاح على الحياة والمدنية المعاصرة!.

### **أهمية البحث:**

وبين هذا الفهم وذاك ضاعت معاني «الوسطية» الصحيحة والتبسّت بمفاهيمٍ أخرى، وغدت حلاً وسطاً، أو انحلالاً وانخلاعاً من أحكام الدّين. فكان من الخير أن نعود بالأمر إلى نصابه، لتتعرّف على «الوسطية» بمفهومها الصحيح، من خلال المصادر الأصيلة في ذلك، وبخاصة إذا أدركنا أنّ

«الوسطية» هي السمة العامة والصفة البارزة لهذا الدين الذي أكرمنا الله تعالى به، ولهذه الأمة التي جعلها الله تعالى خير أمة أخرجت للناس، وجعلها الأمة الرائدة الشاهدة على الناس، بما منحها الله تعالى من مؤهلات القيادة والريادة والشهادة. وهي كذلك منهج عملي للأمة، ينبغي أن تنتهجه وتسير عليه، ولا يجوز لها أن تفرط فيه. فكان من الأهمية بمكان تأصيل مفهوم الوسطية، لأن كل مصطلح له جذوره التاريخية والفكرية، وتحديدُهُ يرفع الالتباس والخلاف، ويوفر الجهد والوقت، ويعصم عن الخطأ والزلل والانحراف، ويوحد المنهج والطريقة للوصول إلى الغاية النظيفة.

ومن ناحية ثانية: إن الاهتمام بالوسطية بلغ الغاية في هذه المرحلة، فقد تداعى العلماء والمفكرون ورجال الإصلاح والسياسة لمدارس «الوسطية»؛ فعقدت الندوات والمؤتمرات، وأنشئت المنتديات والمراكز والكتليات، وكُتبت البحوث والكتب والدراسات والمقالات للبحث في الوسطية وإعلاء شأنها ومكانتها، واتخاذها منهجاً وطريقاً في الفكر وأسلوباً في الحياة والعمل، على المستوى الفردي والجمعي، و على المستوى الرسمي والشعبي. وهذا كله يجعل تأصيل المفهوم ضرورة لا غنى عنها.

ومن ناحية ثالثة؛ تزداد أهمية البحث في تأصيل مفهوم «الوسطية» عندما نقف على ما يُوجَّه للإسلام والمسلمين - في معترك الصراع الفكري الحديث - من اتِّهاماتٍ ظالمةٍ جائرةٍ، مصدرُها قوى الطغيان والاستكبار التي تكيل بمكيالين، شأنُها في ذلك شأنُ المطففين ﴿الَّذِينَ إِذَا أَكَّالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ [سورة المطففين]، يُلصقون تهمة التطرف والإرهاب، أو التشدُّد والانغلاق، بالإسلام والمسلمين وبالحضارة الإسلامية والمجتمع الإسلامي، وهم أوَّلُ بهذا وأجدر<sup>(١)</sup>، فصدق فيهم المثل العربيُّ: «رَمَتْنِي بِدَائِهَا وَانْسَلَّتْ»<sup>(٢)</sup>!

### موضوع البحث وحدوده:

وذلك كلُّه يحدّد موضوع هذا البحث المتواضع في تأصيل المفهوم وابتناؤه على الأصول الراسخة والأدلة القطعية الواضحة من الوحي الإلهيِّ (قرآنًا ناطقًا وسنةً حادثة)، وما

(١) انظر -إن شئت- : ((قراءة في شروط الوسطية والاعتدال)) د. أحمد صدقي

الدجاني، منشور في موقع الإسلام أون لاين. و((الإرهاب: نظرات لغوية وشرعية وقانونية مقارنة))، عثمان ضميرية، ص ٢٣ وما بعدها.

(٢) هذا المثل لإحدى ضرائر رُهم بنتِ الخَزَج، امرأة سَعْد بن زيد مَنَاء، رَمَتْهَا رُهم بعبٍ كان فيها فقالت الضرة: ((رمتني بدائها وانسلت))! يضرب لمن يُعَيِّر صاحبه بعبٍ هو فيه. والانسلال: الخروج. انظر: ((مجمع الأمثال)) للميداني: ٢٨٦/١.

يترتب عليه من آثار ضخمة كبيرة في المنظومة العقائدية والفكرية، وفي الحياة الفردية والجماعية، وبيان المعيار الشرعيّ الدقيق الذي تستند إليه الوسطيّة، والضابط الذي يحيط بها ويقوم على حراستها فيضبط مسارها، لئلا يجمَح الفكرُ أو السلوكُ فينأى بها عن حقيقتها، أو ينحرف بها عن غايتها. وكأنه -بذلك- مدخل ومقدمة بين يدي سائر المعاني والأفكار والدراسات التي تملّي الضرورةُ دراستها والعناية بها في مجال الوسطية والاعتدال والتسامح، ونحو ذلك من البحوث والدراسات التي تتصل بهذا الجانب، وهي كثيرة وفيرة في مجالاتها، ومتنوعة في أسلوبها وطريقتها، ولكنها متلاقية في هدفها وغايتها. ومن الله تعالى نستمدّ العون والتوفيق.

### **تنويه بشرف المكان والموضوع:**

لهذه الأسباب، وغيرها كثير، كانت هذه البادرة الطيبة من ((جامعة طيبة))، في طيبة الطيّبة -مدينة النبي ﷺ، مأرز الإيمان ومعقل الدّين ومهبط الوحي ووطن القلب وموئل البطولات- في حمل لواء الوسطيّة ورفعته عالياً، ليتداعى رجال الفكر والعلم والدعوة من كل فجّ عميق، يستظلّون بظل هذا اللواء، ويتباحثون هموم الأمة وشؤونها، ودور جامعاتها ومؤسساتها التعليمية والتربوية، فيضعونها على الجادة من

الطريق المستقيم، لئلا تتفرّق بهم السُّبُل عن صراط الله المستقيم. ويرسمون لها المنهج الواضح المستبين، ويتلمّسون أسباب النجاح والعصمة عن الانحراف، فتبقى دائماً ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾، كما أراد الله تعالى لها = فكان ذلك حافزاً للاهتمام بهذا الموضوع، وأنطقت ألسنتنا بالشناء، ووجب علينا الشكر والدعاء، وكان أصل هذا البحث ورقة عمل في تلك الندوة.

ثم كان ما يتّصل بهذه الفضيلة والمكانة، فضيلةٌ أخرى في ((مكّة المكرمة))، ومن جوار بيت الله الحرام، وهي أن تنشر هذه الكلمات المتواضعة - حقيقة لا ادّعاء - في سلسلة مباركة من ((دعوة الحق)) لإعلاء الكلمة الصادقة والدعوة المخلصة، وهي دعوة الحق والخير.

## خطة البحث:

ونعقد لهذا الموضوع -بعد هذه المقدمة- تمهيداً، وأربعة مباحث، وخاتمة:

التمهيد: أهمية تحديد المصطلح في البحث العلميّ.

المبحث الأول: مفهوم الوسطية.

المبحث الثاني: وسطية الإسلام بين الأديان.

المبحث الثالث: معيار الوسطية.

المبحث الرابع: وسطية الأمة المسلمة، ومسؤوليتها.

الخاتمة: وفيها خلاصة موجزة وتوصيات سريعة.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل، وهو وحده القادر على أن يهبنا عزيمة الرشد، والثبات في الأمر، وأن يرزقنا الإخلاص لوجهه الكريم، والصواب في صالح القول والعمل، وأن يكتب له القبول، وأن يذخر به الأجر والثواب.



## التمهيد

### أهمية تحديد المصطلح في البحث العلمي

إنَّ اللغة-أيّ لغةٍ- هي أداة التفكير والبيان<sup>(١)</sup>، ووسيلة التفاهم والتخاطب بين الناس؛ وهذا يومئ إلى قضاء مُبرّم، في حكم العقل والحكمة، يوجبُ تحديدَ الألفاظ والكلمات التي «تفيد الإبانة عن الأغراض القائمة في النفوس، التي لا يمكن التوصلُ إليها بأنفسها، وهي محتاجة إلى ما يعبرُ عنها، فما كان أقرب إلى تصويرها، وأظهرَ في كشفها للفهم الغائب عنها، وكان- مع ذلك- أحكمَ في الإبانة عن المراد، وأشدَّ تحقيقاً في الإيضاح عن المطلوب، وأعجبَ في وصفه، وأرشقَ في تصرُّفه، وأبرعَ في نظمه = كان أولى وأحقَّ أن يكون شريفاً»<sup>(٢)</sup>.

وهنا نجد أنفسنا أمام جملةٍ من الأسباب تُوجب علينا أن

---

(١) قال ابن جني في ((الخصائص)) ٤٤/١: ((اللغة هي أصوات يعبرُ بها كل قوم عن أغراضهم)). و لم تأت هذه الكلمة -أي اللغة- في القرآن الكريم بهذا المعنى، وإنما جاء فيه كلمة ((اللسان))، كما في قوله تعالى: «فإنما يسرناه بلسانك» وقوله: «وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه». انظر: ((التعريفات)) للجرجاني، ص ٢٤٧، ((مفردات ألفاظ القرآن)) للراغب الأصفهاني، ص ٧٤٠. و اقرأ -إن شئت- تفصيلاً للفرق بين اللغة واللسان واللهجة في: ((المعاجم والمصطلحات))، د. حامد صادق قتيبي، ص ٢٥- ٤٥.

(٢) انظر: ((إعجاز القرآن)) للباقلاني، ص (١١٩).

نقوم بتحديد المصطلحات العلميّة في أيّ فنٍّ من الفنون، لما لذلك من أهمية تبرز فيما يلي:

(أولاً): الكلمات والألفاظ التي ينطق بها الإنسان، ويعبرُ بها عما في نفسه، قد تختلف دلالتها ومعانيها، وتتطور بتأثير جملة من العوامل<sup>(١)</sup>.

ولذلك ينبغي تحديد معاني هذه الكلمات، عندما تغدو مصطلحاً فنياً يشيع استعماله في علم من العلوم، تحديداً دقيقاً، يزيل اللبس، ويعصم من الوقوع في الخطأ وينأى بصاحبه عن الزلل، وعن الاضطراب في الفهم، والخلط في المفاهيم، باعتبارها أداة من أدوات البحث العلميّ، ومعلماً من معالم المنهج السليم في التفكير، الذي يساعد على الفهم الصحيح ويضع الأمور في نصابها.

(ثانياً): إنّ كلّ مصطلح علميٍّ ينشأ في بيئةٍ فكريّةٍ وحضاريّةٍ خاصة، يتأثر بمعطياتها، ويحمل في طيّاته مدلولاتٍ فكريّةً، وينطوي على اتجاهات عقلية وحضارية تتفق مع شخصية هذه البيئة وذاتيّتها.

---

(١) انظر هذه العوامل في (دلالة الألفاظ)، د. إبراهيم أنيس، ص (١٣٤) وما بعدها.



ولذلك كان من الخطورة بمكان أن ننقل مصطلحاً فنياً من بيئة إلى أخرى؛ لأنّ مدلوله هنا يختلف عنه هناك؛ فلا يجوز أن يلتبس أحدهما بالآخر.

وهذا يعطي - أيضاً - مؤشراً جديداً، ودليلاً عملياً صادقاً، على أهمية تحديد المصطلحات العلمية ومعانيها.

ونقل الإمام ابن أبي جَمْرَةَ الأندلسي عن رَزِين العَبْدَرِيِّ - رحمهما الله - قولاً قريباً من هذا، حيث يقول:

«ما أتى الفسادُ على الفقهاء المتأخرين إلا مِنْ وضعهم الأسماءَ على غير مسمّيات؛ لأنه كانت تلك الأسماء في الصدر الأول على صيغ جائزة بوجوه شرعيّة، وهي اليومَ على غير وجهٍ جائز، فأجازوا غير الجائز لا اشتراكه في الاسم مع الجائز»<sup>(١)</sup>.

وقال شيخُ الإسلام ابنُ تيمية في هذا المعنى:

«مَنْ لم يعرف لغةَ الصحابة التي كانوا يتخاطبون بها، ويخاطبهم بها النبي ﷺ - وعاداتهم في الكلام: حرّف الكلمَ عن مواضعه، فإن كثيراً من الناس ينشأ على اصطلاح قومه وعاداتهم في الألفاظ، ثم يجد تلك الألفاظ في كلام الله أو كلام

---

(١) ((بهجة النفوس شرح مختصر البخاري))، لابن أبي جمرة: ٤٥/١.

رسوله أو كلام الصحابة، فيظنُّ أن مراد الله ورسوله أو الصحابة بتلك الألفاظ ما يريده بذلك أهل عاداته واصطلاحه، ويكون مراد الله ورسوله خلاف ذلك!»<sup>(١)</sup>.

ولذلك ينبغي - عند تفسير النصوص الشرعية - تقديم تفسير الفقهاء على تفسير أهل اللغة؛ فإنَّ النبيَّ - ﷺ - قد يتكلم بكلام من كلام العرب، يستعمله في معنى هو أخصُّ من استعمال العرب أو أعمُّ منه، ويتلقَّى ذلك عنه حَمَلَةٌ شريعته من الصحابة، ثم يتلقَّاه عنهم التابعون، ويتلقَّاه عنهم أئمة العلماء. فلا يجوز تفسير ما ورد في الحديث المرفوع إلى النبيِّ - ﷺ - إلا بما قاله هؤلاء الأئمة العلماء، الذين تلقَّوا العلم عن قبلهم، ولا يجوز الإعراض عن ذلك والاعتماد على تفسير من يفسِّر ذلك اللفظ بمجرد ما يفهمه من لغة العرب.

وهذا أمرٌ مهمٌّ جداً، و من أهمِّه وقع في تحريف كثير من نصوص القرآن والسنة، وحملها على غير محاملها<sup>(٢)</sup>.

(ثالثاً): إنَّ تحديد المصطلحات ومعاني الألفاظ يرفع الخلاف الواقع بين المختلفين في أيِّ قضيَّةٍ عقديَّةٍ أو فقهيةٍ أو سلوكيةٍ...

---

(١) انظر: ((مجموع الفتاوى)): ١/ ٢٤٣.

(٢) ((فتح الباري))، لابن رجب الحنبلي: ٢/ ٣٩٩ بتصرف يسير.

أو غيرها مما قد يتصل بمنهج النظر والاستدلال والحجاج؛ إذ كثيراً ما يقع الخلاف بسبب الغفلة عن تحديد معنى اللفظ، فيستعمله أحدهم بمعنى يختلف عن المعنى الذي يستعمله صاحبه فيه، فينشأ الخلاف ويحدث الجدال، ويذهب كل واحد من الطرفين ليقيم الأدلة على صحة ما ذهب إليه وتزييف قول صاحبه، ولو أنهما اتفقا على تحديد المعنى للمصطلح لارتفع الخلاف، وعاد الأمر بينهما إلى الوفاق.

وفي هذا يقول ابن حزم الظاهري - رحمه الله -:

«والأصل في كلِّ بلاءٍ و عَمَاءٍ وتخليطٍ و فسادٍ: اختلاطُ الأسماء ووقوعُ اسمٍ واحدٍ على معانٍ كثيرة، فيخبر المخبر بذلك الاسم، وهو يريد أحد المعاني التي تحتها، فيحمله السامع على غير ذلك المعنى الذي أراد المخبر، فيقع البلاء والإشكال. وهذا في الشريعة أضُرُّ شيء وأشدُّه هلاكاً لمن اعتقد الباطل، إلا من وفقه الله»<sup>(١)</sup>.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -:

«إنَّ كثيراً من نزاع الناس سببه ألفاظٌ مجمَّلة مبتدعة، ومعانٍ مشبهة، حتى تجد الرجلين يتخاصمان ويتعاديان على

(١) ((الإحكام في أصول الأحكام)) لابن حزم: ٨ / ١١٢٩.

إطلاق ألفاظ ونفيها، ولو سئل كلُّ منهما عن معنى ما قاله لم يتصوَّره، فضلاً عن أن يعرف دليله»<sup>(١)</sup>.

(رابعاً): وما يتصل بهذا: الألفاظ المشتركة التي تستعمل بأكثر من معنى، وقد يؤدِّي هذا إلى اللَّبس و الغموض و الخلل.

وضرب شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - مثلاً على ذلك في استعمال كلمة (الغيرة) عند المتقدمين، وما وقع بينهم من خلاف في معناها، تبعه خلاف آخر في انقسام الناس إلى فئات وفرق. قال - رحمه الله - : «ومن أسباب ذلك: ما وقع من الاشتراك في لفظ الغيرة في كلام المشايخ أهل الطريق، فإنهم تكلموا فيها بمعانٍ، بعضها موافق لعُرف الشارع، وبعضُها ليس كذلك، وبعضُهم حمد منها ما حمده الشارع، وبعضُهم حمد منها ما لم يحمده الشارع، بل ذمَّه»<sup>(٢)</sup>.

وقال الإمام شاه وليُّ الله الدَّهْلَوِيُّ - رحمه الله - :

«ولما كانت الألفاظ المستعملة في درجتين، أو معنيين، متقاربة: فربما يحمل بعضهم نصوص الشرائع الإلهية على غير

---

(١) انظر: ((مجموع الفتاوى)): ١٢ / ١١٤

(٢) ((الاستقامة)): ٢ / ١٠.

محملها، وكثيراً ما يطلع الإنسان على أثر صادرٍ من بعض أفراد الإنسان أو الملائكة أو غيرهما، يستبعده من أبناء جنسه، فيشتبه عليه الأمر، فيثبت له شرفاً مقدساً وتسخييراً إلهياً.... وربما يحملون الألفاظ المستعملة المشتبهة على غير محملها، كما حملوا المحبوبيّة والشفاعة التي أثبتها الله تعالى في الشرائع قاطبة لخواصّ البشر على غير محملها، وكما حملوا صدور خرق العوائد على انتقال العلم والتسخير...»<sup>(١)</sup>.

(خامساً): وهذا الذي تقدم يُسلّمنا إلى فائدة أخرى نجنيها من تحديد المصطلحات والمفاهيم؛ إذ إنّ ذلك يحفظ على الإنسان جهده، ويمنع عقله من التبدّد والضياع، ونفسه من الهوى؛ لأنه يعود بالأمر كلّهُ إلى معانٍ محدّدة مضبوطة، تمنع من الخطأ والانحراف والزلل والاضطراب، كما أنه يجمع الأمة كلها ويوحّدها على كلمة واحدة أو منهج فكري واحد يعصمها من التفرّق والشّتات، بما ينشئ فيها من تصورات محدّدة ثابتة، وبما يضع لها من موازين وحدود دقيقة، لا تتأثر بزمان معيّن و مكان محدّد<sup>(٢)</sup>.

---

(١) ((حجة الله البالغة)) للدهلوي: ٢١١/١ - ٢١٢ بتصرف

(٢) انظر إن شئت: ((خصائص التصور الإسلامي))، للأستاذ سيد قطب،

تلكم هي بعض الأسباب التي تحمل على الحرص البالغ على تحديد الألفاظ والمصطلحات، وهي تومئ إلى ما وراءها من أهمية في هذا الجانب الذي اهتمَّ به علماءنا فأفردوه بالتأليف، أو جعلوه فاتحة كتبهم أحياناً؛ فقد عقد الإمام ابن حزم باباً في كتابه «الإحكام في أصول الأحكام»<sup>(١)</sup> عن «الألفاظ الدائرة بين أهل النظر» قال فيه: «هذا باب خلط فيه كثير ممن تكلم فيه معانيه، وشبك بين المعاني، وأوقع الأسماء على غير مسمياتها، ومزج بين الحقِّ والباطل، فكثر - لذلك - الشغب والالتباس، وعظمتِ المضرة وخفيت الحقائق...».

وأوما العلامة ابنُ قيم الجوزية - رحمه الله - إلى ذلك كله بعبارة موجزة دقيقة، فقال:

«... ولهذا كان معرفة حدود ما أنزل الله تعالى على رسوله - ﷺ - أصل العلم وأخيه<sup>(٢)</sup> التي يرجع إليها، فلا يُخرج شيئاً من معاني ألفاظه عنها، ولا يُدخل فيها ما ليس منها بل يعطيها حقها، ويفهم المراد منها... فأخراج بعض ما يتناوله اللفظ عن شمول الاسم: تقصير به وهضم لعمومه، وأما تحميله فوق ما يحتمل: فهذا تجاوز يقابل ذلك التقصير»<sup>(٣)</sup>.

(١) ٣٤/١. و انظر أيضاً: ((المنهاج في ترتيب الحجاج))، لأبي الوليد الباجي،

ص ١٠ - ١٤.

(٢) الآخية أو الآخية: عروة تثبت في أرض أو حائط، و تربط فيها الدابة.

والجمع: أواخي. انظر: ((المعجم الوسيط)): ٩/١.

(٣) ((إعلام الموقعين)) لابن قيم الجوزية: ٢٢٠/١ و ٢٦٦.

# المبحث الأول

## مفهوم الوسطية

### تمهيد:

يتناول هذا المبحث - بإيجاز - في فقرات متتابعة متساوقة: معنى الوسطية واستعمالاتها في لسان العرب، لبيان الصلة بين المعاني اللغوية والاصطلاحية، لأن الكلمات الاصطلاحية أصلها معانٍ لغوية، ولكنها نقلت إلى معانٍ أخرى، أو دخلها التخصيص في الاستعمال أو التوسع فيه.

ثم يشير إلى وجوه استعمالها في المصطلح القرآني الكريم، وبيان السنة النبوية له، وبلاغة الأسلوب القرآني في الأداء والبيان عن وسطية الأمة،

ثم يعقد الصلة بينها وبين المصطلحات الأخرى التي تؤدي معناها، أو تتفق معها، أو تكون من مقتضياتها، فتتميز عن أضدادها من الكلمات والمصطلحات التي تنافئها.

## أولاً- الوسط والوسطية في اللغة العربية:

الوسطية مصدر صناعي مأخوذ من كلمة «الوسط»<sup>(١)</sup>.  
ومادة هذه الكلمة وأصل اشتقاقها: الواو والسين والطاء.  
وهي بناءٌ - في اللغة - صحيحٌ يدلُّ على العدل والنَّصف<sup>(٢)</sup>.

و(أَعْدَلُ الشَّيْءِ): أَوْسَطُهُ وَوَسَطُهُ، كما في قوله تعالى:  
﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة، ١٤٣].

وشيءٌ (وَسَطٌ): بين الجيِّد والرديء.

و(وَسَطُ الشَّيْءِ): ما بين طرفيه. قال الشاعر<sup>(٣)</sup>:

إِذَا رَحَلْتُ فَاجْعَلُونِي وَسَطًا      إِنِّي كَبِيرٌ، لَا أُطِيقُ الْعُنْدَا

أي: اجعلوني وسطاً لكم، ترفقون بي وتحفظونني، فإني  
أخاف إذا كنتُ وحدي مُتقدِّماً لكم أو متأخراً عنكم أن تفرط  
بي دأبتي أو ناقتي فتصرعني.

---

(١) المصدر الصناعي اسم تلحقه ياء النسبة يأتي بعدها تاء التأنيث للدلالة على صفة فيه. انظر: ((القواعد الأساسية للغة العربية)) للسيد أحمد الهاشمي، ص ٧٣.

(٢) النَّصْفُ وَالنَّصْفَةُ: الإنصاف، يقال: ما جعلوا بيني وبينهم نصفاً. ويقال: رجلٌ نصفٌ، وامرأةٌ نصفٌ، ورجال نصفٌ: من أواسط الناس. انظر: ((المعجم الوسيط)): ٩٢٧/٢.

(٣) من شواهد ((جمهرة اللغة)) و((المقاييس)) و((الصحاح)) و((اللسان))، مادة وسط، دون نسبة.



و(الوَسَط والأَوْسَط): المعتدُّ من كلِّ شيء، والعدلُّ والخيرُ.

و(الوَسَط) أيضاً: ما يكتنفه أطرافه ولو من غير تساوٍ. يوصف به المفرد وغيره. أو هو في الأصل -كما يقول أبو البقاء الكفويُّ-: اسم للمكان الذي يستوي إليه المساحة من الجوانب في المدوَّر، ومن الطرفين في المطوَّل، كمركز الدائرة، ولسان الميزان من العمود. ثم استعير للخصال المحمودة لوقوعها بين طرفي إفراط وتفريط.

ومن المجاز قولهم: هو وَسَطٌ في قومه، ومن أَوْسَطَهم، أي: من خيارهم. وفلانٌ وَسَطٌ وَسِطَةٌ ووسيطٌ في قومه، وقد وَسُطَ وَسَاطَةً، إذا كان أَوْسَطَهم نسباً وأرفعَهم محلاً.

قال العَرَجِيُّ، عبدُ الله بنُ عمر<sup>(١)</sup>:

أَضَاعُونِي وَأَيَّ فَتًى أَضَاعُوا

لِيَوْمِ كَرِهَةٍ وَسِدَادٍ ثَغْرِ

وَصَبْرٍ عِنْدَ مُعْتَرِكِ الْمَنَآيَا

وقد شَرَعَتْ أَسِنَّتُهَا بَنَحْرِي

---

(١) في ديوانه، ص ٢٤٦ - ٢٤٧. وانظر: ((الأغاني)) لأبي الفرج الأصفهاني:

٣٩٩/١، و((أنساب الأشراف)) للبلاذري: ٦١٠/٤.

أُجَرَّرُ فِي الْجَوَامِعِ كُلِّ يَوْمٍ

فِيَا اللَّهَ مَظْلَمَتِي وَصَبْرِي

كَأَنِّي لَمْ أَكُنْ فِيهِمْ وَسِيطًا

وَلَمْ تَكُنْ نِسْبَتِي فِي آلِ عَمْرٍو

وذلك لأن الوسط يُحْمَى بالأطراف، فيبقى مصوناً<sup>(١)</sup>.

ومن هذا المعنى ما رواه أبو الدرداء - رضي الله عنه - عن النبي - ﷺ - قال: «الْوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ»<sup>(٢)</sup>. أي خيرها، يقال: هو من أوسط قومه، أي من خيارهم. والمعنى أن برّه مؤدّ إلى دخول الجنة من أوسط أبوابها،

---

(١) لم يرتض العلامة أبو السعود هذا التعليل فقال: ((الوسط)) في الأصل اسم لما يستوي نسبة الجوانب إليه كمركز الدائرة. ثم استعير للخصال المحمودة البشرية، لكن لا لأنّ الأطراف يتسارع إليها الخلل والإعواز، والأوساط محمية محوطة كما قيل، واستشهد عليه بقول أبي تمام الطائي؛ فإن تلك العلاقة بمعزل من الاعتبار في هذا المقام؛ إذ لا ملازمة بينها وبين أهلية الشهادة التي جعلت غايةً للجعل المذكور. انظر: ((تفسير أبي السعود)): ٢٠٤/١.

(٢) أخرجه الترمذي في أبواب البر، برقم (٤٩٢٨)، وقال: ((وهذا حديث صحيح))، ورواه ابن ماجه برقم (٢٠٨٩) و الإمام أحمد في ((المسند)) برقم (٢١٧١٧)، و الطيالسي (٩٨١)، وابن أبي شيبة: ٥٤٠/٨، والبعوي في ((شرح السنة)) برقم (٣٤٢٢)، وصححه الحاكم: ١٥٢ / ٤، ورواه الطحاوي في ((شرح مشكل الآثار)) برقم (١٣٨٥).

فأحسن ما يُتوسَّل به إلى دخول الجنة برُّ الوالدين<sup>(١)</sup>.

ومنه ما جاء في كتب السيرة النبوية في أسماء النبي - < -  
ووصفه بأنه «الأوسط»<sup>(٢)</sup>، أي العادل أو الخيار، فقال الشاعر  
مادحاً:

يَا أَوْسَطَ النَّاسِ طُرّاً فِي تَفَاخُرِهِمْ

وَفِي تَفَاضُلِهِمْ، يَا أَشْرَفَ الْعَرَبِ<sup>(٣)</sup>

ومنه قول الشاعر أبي تمام الطائي:

كَانَتْ هِيَ الْوَسَطَ الْمَحْمِيَّ فَانْكَشَفَتْ

بِهَا الْحَوَادِثُ حَتَّى أَصْبَحَتْ طَرَفَا<sup>(٤)</sup>

---

(١) انظر: ((قوت المغتذي على جامع الترمذي)) للسيوطي: ١/٤٦٥، و((فيض

القدير شرح الجامع الصغير)) للمناوي: ٣٧١/٦، و ((دليل الفالحين  
لطرق رياض الصالحين)) لابن علان الصديقي: ٣/١٧٤

(٢) انظر: ((سُبُل الهدى والرُّشاد في سيرة خير العباد)) للصالح: ١/٥٣٨.

(٣) أورده الثعلبي في ((الكشف والبيان عن تفسير القرآن)): ٢/١٩٥،

والقرطبي: ٣/٢٠٩، والسَّمِين الحلي في ((الدر المصون)): ٢/٤٩٩،

ونسبوه إلى أعرابي يمدح الرسول ﷺ، باختلاف الشطر الثاني:

يَا أَوْسَطَ النَّاسِ طُرّاً فِي مَفَاخِرِهِمْ ... وَأَكْرَمَ النَّاسِ أَمَّا بَرَّةً وَأَبَا

(٤) وهو واحد من بيتين يخاطب بهما الخليفة المعتصم:

وغضبة الموت - أعني البذ - قُدَّتْ لَهَا

عزمرماً لخروق الأرض مُعْتَسِفاً

كانت هي الوسط المحمي فاكتفت...

قال الشيخ الطاهر ابن عاشور - رحمه الله -:

«(الوسطُ) اسم للمكان الواقع بين أمكنة تحيط به، أو للشيء الواقع بين أشياء محيطة به، ليس هو إلى بعضها أقرب منه إلى بعض، عُرفاً أو وَضْعاً.

أما عُرفاً: فإنه لما كان الوصول إليه لا يقع إلا بعد اختراق ما يحيط به، أخذ فيه معنى الصيانة والعزّة طبعاً، كوسط الوادي، لا تصل إليه الرّعاة والدواب إلا بعد أكل ما في الجوانب، فيبقى كثير العشب والكَلأ.

وأما وضْعاً: كوسط المملكة، يُجعل محلّ قاعدتها، ووسط المدينة يُجعل موضع قَصَبَتِها؛ لأنّ المكان الوسط لا يصل إليه العدو بسهولة، وكواسطة العقد لأنفس لؤلؤة فيه.

---

و((الغِيضة)) :مغيض الماء يجتمع فيه ثم يفيض ويذهب فينبت فيه الشجر والنبات. والمراد هنا: موضع العسكر. و ((البذ)) :اسم قلعة لبابك الخُرْمِيّ. و((المرمرم)) : الجيش الكثير. و((خروق الأرض)) : طرائقها. و((المعتسف)) : الحائد عن الطريق لكثرتة. شبّه ذلك الموضع بالغِيضة على سبيل التهكم بأصحابه، لأنها تضاف للماء، فأضافها للموت، وشبّه الجيش في الانقياد بالإبل على طريق الكناية، وكنى بالوسط عن التي لا يصل إليها الخلل لأنها محمية بالأطراف فاكتفت وأحاطت بها الحوادث - يعنى جيوش المعتصم - حتى أصبحت تلك الغِيضة طرفاً، فالحقها الخلل ومكارة الجيش. انظر: ((شرح شواهد الكشف)): لمحّب الدين أفندي: ٤/٤٥٥، وللمرزوقي ص ٧٨ مطبوعان مع ((الكشف)) للرّمحشريّ.

فمن أجل ذلك صار معنى النفاسة والعزة والخيار من لوازم معنى «الوسط» عرفاً، فأطلقوه على الخيار.

وأما إطلاق (الوسط) على الصفة الواقعة عدلاً بين خُلُقَيْن ذميمين فيهما إفراط وتفريط؛ كالشجاعة بين الجبن والتهور، والكرم بين الشُّحِّ والسَّرَف، والعدالة بين الرِّحمة والقساوة = فذلك مجازٌ بتشبيه الشيء الموهوم بالشيء المحسوس، فلذلك رُوي حديث: «خير الأمور أوسطها»<sup>(١)</sup>، وسنده ضعيف<sup>(٢)</sup>.

وقد شاع هذان الإطلاقان حتى صارا حقيقتين عُرفَتَيْن<sup>(٣)</sup>.

---

(١) يقول ابنُ الأثير الجَزَرِيُّ في ((جامع الأصول)) ٣١٨/١: ((معناه: أن كل خصلة محمودة، فإن لها طرفين مذمومين، مثل أن السخاء وسط بين البخل والتبذير، والشجاعة وسط بين الجبن والتهور، والإنسان مأمور أن يتجنب كل وصف مذموم، وتجنبه بالتعري منه، والتبعد عنه، فكلما ازداد منه بعداً ازداد منه تعرياً، وأبعد الجهات والأماكن والمقادير من كل طرفين، إنما هو وسطها، لأن الوسط أبعد الجهات من الأطراف، وهو غاية البعد عنها، فإذا كان في الوسط، فقد تعرى عن الأطراف المذمومة بقدر الإمكان، فلهذا كان خير الأمور أوسطها)).

(٢) ضعيف مرفوعاً، وروي عن مطرف بن عبد الله موقوفاً عليه بسند صحيح، كما روي عن الحسن البصري وغيره، أخرجه ابن أبي شيبة: ٤٧٩/١٣، وابن سعد في ((الطبقات)): ١٤٢/٧، والبيهقي في ((السنن)): ٢٧٣/٣، وفي ((شعب الإيمان)): ١١٣/١٠، وأخرجه أبو نعيم موقوفاً على أبي قلابة: ٢٨٦/٢. وانظر: ((تخريج أحاديث إحياء علوم الدين)) للعراقي وابن السبكي: ١٥٨٤/٤ - ١٥٨٥، و((سلسلة الأحاديث الضعيفة)) برقم (٧٠٥٦).

(٣) ((التحرير والتنوير)) لابن عاشور: ١٦/٢ - ١٩.

## الفرق بين ((الوسط)) و ((الوسط)):

قال أبو محمد بن برّي - من علماء اللغة -: "إنَّ ((الوسط)) - بالتحريك - اسم لما بين طرفي الشيء، وهو منه، كقولك: قبضت وسط الحبل، وكسرت وسط الرمح، وجلست وسط الدار. ومنه المثل: «يَرْتَعِي وَسْطاً وَيَرْبِضُ حَجْرَةً»<sup>(١)</sup>. أي يرتعي أوسط المرعى وخياره ما دام القوم في خير، فإذا أصابهم شرّ اعتزلهم وربض حجرة، أي ناحية، منعزلاً عنهم. وجاء الوسط محرّكاً أوسطه على وزانٍ يقتضيه في المعنى وهو الطّرف، لأنّ نقيض الشيء يتنزل منزلة نظيره في كثير من الأوزان، نحو جَوْعَانٍ وشَبْعَانٍ، وطويل وقصير. والوسط قد يأتي صفة وإن كان أصله أن يكون اسماً من جهة أن أوسط الشيء: أفضله وخياره، كوسط المرعى خيرٌ من طرفيه، وكوسط الدابة للركوب خير من طرفيها لتمكّن الراكب؛ ولهذا قال الراجز: إِذَا رَكِبْتُ فَاجْعَلَانِي وَسْطاً.

---

(١) ويروى ((يأكل خضرة ويريض حجرة)) أي يأكل من الروضة ويريض ناحية. يضرب مثلاً لمن يساعد أخاه ويشاركه في الرخاء ما دام في خير، ويجانبه عند البلاء فيبتعد عنه، كما قال:  
مَوَالِينَا إِذَا افْتَقَرُوا إِلَيْنَا ... وَإِنْ أَثَرُوا فَلَيْسَ لَنَا مَوَالِي  
والموالي هاهنا: بنو الأعمام. وحجرة: أي ناحية لا يعين على عمل، وحجرات الشيء نواحيه. انظر: ((مجمع الأمثال)) للميداني: ٤١٥/٢، و((جمهرة الأمثال)) لأبي هلال العسكري: ٤٣٠/٢

ومنه الأثر المتقدم آنفاً: «خير الأمور أوسطها».

ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ [الحج، ١١]. أي على شكٍّ، فهو على طرف من دينه غير مُتَوَسِّط فيه ولا مُتَمَكِّن.

فلما كان وسط الشيء أفضله وأعدله جاز أن يقع صفة، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة، ١٤٣]. أي عدلاً. وقال بعضهم: خياراً. اللفظان مختلفان والمعنى واحدٌ، لأنَّ العدل خيرٌ، والخير عدلٌ.

فهذا تفسير «الوسط» وحقيقة معناه، وأنه اسمٌ لما بين طرفي الشيء، وهو منه.

وأما «الوسط» -بسكون السين- فهو ظرفٌ لا اسم<sup>(١)</sup>، جاء على وزن نظيره في المعنى وهو «بَيْنٌ»، تقول: جلست وسطَ القوم. أي بينهم.

قال سَوَّارُ بْنُ الْمُضَرَّبِ:

---

(١) قال ابن سيده في ((المحكم والمحيط الأعظم)) ٥٤٩/٨: ((وقول الفرزدق:

أَتَتْهُ بِمَجْلُومٍ كَأَنَّ جَبِينَهُ صَلَآةٌ وَرْسٌ وَسَطُهَا قَدْ تَنَلَّقَا  
فإنه احتاج إليه فجعله اسماً)).

وقال الزمخشري في ((الكشاف)) ٩٩/١: ((هي صفة بالاسم الذي هو وسط الشيء، ولذلك استوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث)).

إِنِّي كَأَنِّي أَرَى مَنْ لَا حَيَاءَ لَهُ وَلَا أَمَانَةَ، وَسَطَ النَّاسِ، عُرْيَانًا<sup>(١)</sup>

ولما كانت «بين» ظرفاً كانت «وسط» ظرفاً، ولهذا جاءت ساكنة الأوسط لتكون على وزنها. ولما كانت «بين» لا تكون بعضاً لما يضاف إليها بخلاف «الوسط» الذي هو بعض ما يضاف إليه كذلك «وسط» لا تكون بعض ما يضاف إليه. ألا ترى أن وَسَطَ الدار منها، ووسطُ القوم غيرهم؟

ومن ذلك قولهم: «وسطُ رأسه صُلْبٌ»؛ لأن وَسَطَ الرأس بعضها. وتقول: «وسطَ رأسه دُهْنٌ»، فتنصب وسطاً على الظرف وليس هو بعض الرأس.

فقد حصل -بذلك- الفرقُ بينهما من جهة المعنى، ومن جهة اللفظ؛

أما من جهة المعنى: فإن (وسط) تلزم الظرفية، وليست باسم متمكّن يصح رفعه ونصبه على أن يكون فاعلاً ومفعولاً وغير ذلك، بخلاف الوسط.

وأما من جهة اللفظ: فإن (الوسط) لا يكون من الشيء الذي يضاف إليه، بخلاف الوسط أيضاً.

---

(١) هو من شواهد ((لسان العرب)): ٤٢٦/٧، و((تاج العروس)): ١٧٥/٢٠.



هذا، وقد يقع أحد اللفظين مكان الآخر على جهة الاتساع والخروج عن الأصل.

وقيل: كلُّ منهما يقع موقع الآخر. وهو الأشبه والأقوى.

وحكي عن ثعلب<sup>(١)</sup>: «وَسَطُ الشَّيْءِ وَوَسْطُهُ» - بالفتح والإسكان - إذا كان مُصَمَّتًا. فأما إذا كان أجزاء متباينة فهو «وَسْطٌ» - بالإسكان - لا غير.

والأصل في «الوسط» أن يُستعمل وصفاً للأُمُور الحسيَّة الماديَّة، كما في الأمثلة السابقة: وَسَط الدار، وَسَط الحبل، وَسَط الرُّمَح. ثم يُستعار ذلك لوصف الأُمُور المعنويَّة نحو: أَوْسَطُهُمْ نسباً وعِلْماً، والدين الوسط<sup>(٢)</sup>.

---

(١) أبو العباس، أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني بالولاء، المعروف بـ ((ثعلب))، إمام الكوفيين في النحو واللغة، توفي سنة ٢٩١ هـ. انظر: ((الأعلام)) للزُّركلي: ٢٦٧/١.

(٢) انظر: ((الصحاح)): ١١٦٧/٣ - ١١٦٨، و((المحكّم والمحيط الأعظم)): ٥٩٤/٨ - ٥٩٦، و((لسان العرب)): ٤٢٦/٧ - ٤٣٠، و((بصائر ذوي التمييز)): ٢٠٩/٥ - ٢١١، و((تاج العروس)): ١٧٥/٢٠ - ١٧٨، و((عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ)) للسمين الحلبي، ص ٦٣٠، ((الكليّات)) لأبي البقاء الكفوي: ٣٩/٥ - ٤٠.

## فذلِكةَ المعاني اللغوية<sup>(١)</sup>:

والخلاصة أنَّ «الوسطَ» في اللغة العربية يدلُّ على العدل والنَّصفة، وإليهما ترجع سائر المعاني المتفرَّعة التي جاءت في اللسان العربي، وهي: العدل، والخيار، والفضل، والبيِّنَة بين شيئين أو طرفين.

ومن ناحية أخرى ننتهي إلى أنَّ «الوسطَ» يطلق وصفاً للأُمور الحسيَّة الماديَّة، ويستعار ليطلق على الأُمور المعنوية مجازاً. وكلاهما مما يندرج ضمن المعاني اللغوية السابقة، وسنجدُها في كتاب العربية الأكبر والوحي المنزَّل: «القرآن الكريم»، وفي بيانه الذي يخرج من مشكاته على لسان مَنْ لا ينطق عن الهوى في «سُنَّتِه المطهَّرة» صلى الله عليه وسلم<sup>(٢)</sup>.

---

(١) فذلِكَ الحسابُ: أنهاه وفرغ منه. وهي منحوتة من قوله: فذلِكَ كذا وكذا، إذا أجمل حسابه. و(الفذلِكة) مجمل ما فُصِّل وخلاصته. وهي كلمة محدثة. انظر: ((المعجم الوسيط)): ٦٧٨/٢.

(٢) انظر هذه المعاني اللغوية في: ((معجم مقاييس اللغة)) لابن فارس: ١٠٨/٦، و((الصحاح)) للجوهري: ٣ / ١١٦٧ - ١١٦٨، و ((أساس البلاغة)) للزمخشري: ٥٠٥/٢، و ((المحكم والمحيط الأعظم)) لابن سيده: ٥٩٤/٨ - ٥٩٦، و ((اللسان العرب)) لابن منظور: ٧ / ٤٢٦ - ٤٣٠، و((بصائر ذوي التمييز)) للفيروزآبادي: ٥ / ٢٠٩ - ٢١١، و((عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ)) للسمين الحلبي، ص ٦٣٠، و((الكليات)) للكفوي: ٣٩/٥ - ٤٠، و((التوقيف على مهمات التعاريف)) للمناوي، ص ٧٢٥، و((الفروق اللغوية)) لأبي هلال العسكري، ص (٢٥٣)، و((المعجم الوسيط)): ٣٠٠/٢.

## ثانياً- وجوه الوسطية في القرآن الكريم:

وقد عُنِيَ علماء التفسير وغريب القرآن ببيان معنى «الوسط» ووجوه استعماله في القرآن الكريم.

### فقال الرَّاعِبُ الأَصْفَهَانِيُّ:

«الوَسَطُ: تارة يُقال فيما له طرفان مذمومان؛ كالجود الذي هو بين البخل و السَّرَف، فيستعمل استعمال القصد المصون عن الإفراط والتفريط، فيمدح به، نحو السَّوَاء والعَدْل والنَّصْفَة، نحو قوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة، ١٤٣]. وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ [القلم، ٢٨].

وتارة يُقال فيما له طرفٌ محمود وطرفٌ مذموم، كالخير والشرِّ.

ويكنَّى به عن الرِّذْل، نحو قولهم: فلان وَسَطٌ من الرِّجال، تنبيهاً أنه قد خرج من حدِّ الخير»<sup>(١)</sup>.

### وقال أبو عبد الله الدَّامَغَانِيُّ:

«تفسير الوسط على وجهين: العدل، والوسط بعينه.

فالوجه الأول: وسطاً، أي عدلاً. كما في قوله تعالى في

---

(١) ((مفردات ألفاظ القرآن)) للراغب الأصفهاني، ص ٨٦٩.

سورة البقرة: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ يعني عدلاً، وقوله تعالى: ﴿مَنْ أَوْسَطَ مَا تَطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ [المائدة، ٨٩]. يعني أعدل. والوجه الثاني: الوسط بعينه، كقوله سبحانه وتعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ [البقرة، ٢٣٨] يعني: صلاة العصر. وقيل: الصبح<sup>(١)</sup>.

### ثالثاً- معنى الوسط في آية سورة البقرة:

و تلك المعاني التي أسلفت، إنما هي قبس من الآية الكريمة التي وصفت هذه الأمة "الوسط" بهذا الوصف، حيث قال الله تبارك وتعالى في سياق آيات تحويل القبلة من بيت المقدس إلى البيت الحرام، وبها تحولت قيادة البشرية إلى هذه الأمة:

﴿سَبِقُوا الْفُسْهَاءَ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّهُمْ عَن قِبَلِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (١٤٢) ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ عَمَلَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٢ - ١٤٣].

(١) ((الوجوه والنظائر لألفاظ الكتاب العزيز)) للدماغاني: ٢ / ٢٧٩. وانظر:

((تفسير الطبري)): ٥ / ٢١٧ - ٢٢١، و((تفسير البغوي)): ١ / ٢٨٧ - ٢٨٩.

يعنى بقوله ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ أي: كما هديناكم أيها المؤمنون بمحمد - < - وبما جاءكم به من عند الله، فخصصناكم بالتوفيق لقبلة إبراهيم ومِلَّتِهِ وفضلناكم على من سواكم من أهل المِلَل، كذلك خصصناكم وفضلناكم على غيركم من أهل الأديان، بأن جعلناكم أمةً وسطاً<sup>(١)</sup>.

أقوال في معنى «الوسط»:

وقد اختلفت عبارات العلماء في معنى "الوسط" في الآية الكريمة، فذكروا أقوالاً أربعة:

(الأول) - الوسط هو العدل. ويدلُّ على هذا قوله تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ أي أعدلهم.

وصحَّ عن النبي ﷺ في قوله: ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ قال: عدولاً؛ فقد روى البخاريُّ عن أبي سعيد الخدريّ - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «يُجَاءُ بَنُو حِمْيَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فيُقالُ له: هل بَلَغْتَ؟ فيقول: نعم يا ربِّ، فتُسالُ أُمَّتُه: هل بَلَغَكم؟ فيقولون: ما جاءنا من نذيرٍ. فيقول: مَنْ شَهِدْتُكَ؟ فيقول: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُه، فيُجاءُ بكم فتشهدون. ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ قال: عدلاً، ﴿لِنَكُونُوا شُهَدَاءَ

(١) انظر: ((تفسير الطبري)): ٣ / ١٤١.

عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴿١﴾ .

وهذا من أعلى أنواع التفسير، لأنه بيانٌ من النبيّ - صلى الله عليه وسلم - الذي قلّده الله تعالى أمانة التبليغ والبيان لما أنزله عليه. وهو ما نقله الجوهري عن أئمة اللغة كالأخفش والخليل وقطرب.

وقال زهير بن أبي سلمى:

هُمْ وَسَطٌ تَرْضَى الْأَنَامُ بِحُكْمِهِمْ

إِذَا نَزَلَتْ إِحْدَى اللَّيَالِي بِمُعْظَمِ<sup>(٢)</sup>

ويؤيد هذا التفسير من حيث المعنى وجوه أربعة:

(أحدها) أنّ الوسط حقيقة في البعد عن الطرفين، ولا شك أنّ طرفيّ الإفراط والتفريط رديئان، فالمتوسط في الأخلاق يكون بعيداً عن الطرفين، فكان معتدلاً فاضلاً.

---

(١) أخرجه البخاري في التفسير: ١٧٢/٨، وفي مواضع أخرى. وانظر: ((الدر المنثور)) للسيوطي: ١٦/٢ - ١٧.

(٢) من شواهد ((تفسير الطبري))، و ((أساس البلاغة))، و ((لسان العرب))، و ((الدر المصون))، و ((تاج العروس)) (مادة وسط). وليس في ديوانه المطبوع.

و(ثانيها): إنما سُمِّي العدل وسطاً لأنه لا يميل إلى أحد الخصمين، والعدل هو المعتدل الذي لا يميل إلى أحد الطرفين.

و(ثالثها): لا شك أن المراد بقوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ المدح لهم؛ لأنه لا يجوز أن يذكر الله تعالى وصفاً ويجعله كالعلة في أن جعلهم شهوداً له ثم يعطف على ذلك شهادة الرسول إلا وذلك مدح.

فثبت أن المراد بقوله: ﴿وَسَطًا﴾ ما يتعلق بالمدح في باب الدين، ولا يجوز أن يمدح الله الشهود حال حكمه عليهم بكونهم شهوداً إلا بكونهم عدولاً، فوجب أن يكون المراد من الوسط العدالة.

و(رابعها): أن أعدل بقاع الشيء وسطه، لأن حكمه مع سائر أطرافه على سواءٍ وعلى اعتدال، والأطرافُ يتسارع إليها الخلل والفساد، والأوساطُ محميةٌ محوطةٌ، فلما صحَّ ذلك في «الوسط» صار كأنه عبارة عن المعتدل الذي لا يميل إلى جهة دون جهة.

(القول الثاني): الوسطُ من كلِّ شيءٍ خياره. من قولهم فلان وسط الحسبِ في قومه، إذا أرادوا بذلك الرفيعَ في حسبه، واستشهدوا عليه بقول زهيرٍ أيضاً—كما تقدم في القول الأول—.

وهذا مطابق لقوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران، ١١٠]. قال الإمام محيي السنة البغوي: ﴿وَكَذَلِكَ﴾ أي: وهكذا. وقيل: الكاف للتشبيه، أي: كما اخترنا إبراهيم وذريته واصطفيناهم ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ معطوفة على قوله: ﴿وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [البقرة: ١٣٠] أي: عدلاً خياراً، قال الله تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ [القلم: ٢٨]، أي: خيرهم وأعدلهم، وخير الأشياء أوسطها»<sup>(١)</sup>.

وقال العلامة أبو حيان الأندلسي:

«اختلفت الأقاويل في المشار إليه بذلك -يعني في قوله تعالى ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾- فقيل: المعنى أنه شبه جعلهم أمةً وسطاً بهدأيته إياهم إلى الصراط المستقيم، أي: أنعمنا عليكم بجعلكم أمةً وسطاً، مثل ما سبق إنعامنا عليكم بالهداية إلى الصراط المستقيم، فتكون الإشارة بذلك إلى المصدر الدال عليه قوله تعالى: ﴿يَهْدِي﴾، أي جعلناكم أمة خياراً مثلاً هديناكم باتباع محمد ﷺ - وما جاء به من الحق...»<sup>(٢)</sup>.

(١) ((معالم التنزيل)) للبغوي: ١٥٨/١.

(٢) ((تفسير البحر المحیط)) لأبي حيان: ١١/٢.



(القول الثالث): الوسط: الأكثر فضلاً، فإذا قيل: فلانٌ أوسطنا نسباً، فالمعنى أنّه أكثر فضلاً. ويقال: هذا وسطٌ فيهم كواسطة القلادة.

وأصل هذا: أن الأتباع يحيطون الرئيس، فهو في وسطهم، وهم حوله، لما له من مكانة، فقليل: ﴿وَسَطًا﴾ لهذا المعنى.

ولما بعث النبي ﷺ كتاباً إلى ملك الروم يدعوه إلى الإسلام، أرسل الملك إلى أبي سفيان، فقال: أتعرفُ هذا الرجل؟ فقال: نعم، قال: ما نسبُه فيكم؟ قال: محضاً، من أوسطنا نسباً<sup>(١)</sup>.

(القول الرابع): يجوز أن يكون ﴿وَسَطًا﴾ على معنى أنهم متوسطون في الدين بين المفرط والمفرط، أو الغالي والمقصر - في الأشياء؛ لأن المسلمين توسَّطوا في الدين، فلا هم أهل غلوٍّ فيه - كالنصارى الذين غلوا في دينهم وابتعوا الرهبانيّة -، ولا هم أهل تقصير فيه - كاليهود الذين بدّلوا كتاب الله وقتلوا أنبياءهم وكذبوا على ربهم -.

فوصف الله تعالى المسلمين بأنهم وسطٌ؛ لأنَّ أحبَّ الأمور إليه أوسطها، فهم وسطٌ بين اليهود والنصارى. قال عليّ -

---

(١) أخرجه سعيد بن منصور في ((سننه)) برقم (٢٤٧٨)، و البيهقي في ((دلائل النبوة)): ٣٨٢/٤. وأصل الحديث في البخاري بغير هذا اللفظ.

رضي الله عنه-: «خيرُ هذه الأمة النَّمطُ الأوسطُ يلحق بهم  
التَّالي ويرجع إليهم الغالي»<sup>(١)</sup>.

وقال الحسنُ البصريُّ للأعرابي: «خير الأمور أوسطُها»<sup>(٢)</sup>  
أي إنَّ ما كان من الأمور مُتَوَسِّطاً بين طرفيه فهو أشرفُ  
أشخاصِ نوعه<sup>(٣)</sup>.

وهذا القول يتَّسق مع ما فُسِّرَت به الآية الكريمة في سورة  
القلم ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ [الآية ٢٨] في أحد الأقوال، حيث قال  
الكلبيُّ: «يعني أهل دين وسط، بين الغلوِّ والتقصير، لأنها  
مذمومان في الدين»<sup>(٤)</sup>.

وبالنظر في هذا الأقوال نجدُها متقاربةً غير متنافية، فهي

---

(١) أخرجه عنه: ابن أبي شيبة في ((المصنف)): ٢٨٢/١٣، و أبو عبيد في  
((غريب الحديث)): ٤٨٢/٣. والنَّمط: الطريقة أو الصنف والنوع. وهو  
أيضاً: الجماعة من الناس أمرهم واحد. فقد كره عليٌّ -رضي الله  
عنه- الغلوَّ والتقصير في الدين. وانظر: ((الفائق)) للزمخشري: ٢٧/٤.

(٢) تقدم تخريج الأثر فيما سبق، ص تعليق.

(٣) ذكر هذه الوجوه مجتمعة الفخر الرازي في ((مفاتيح الغيب)): ٧/٤،  
وانظرها بمجملها في: ((تفسير الطبري)): ٣ / ١٤١، و((تفسير الماوردي)):  
١٩٨/١، و((تفسير البغوي)): ١٥٨/١ - ١٥٩، و((الكشاف)) للزمخشري:  
٩٩/١، و((زاد المسير)) لابن الجوزي: ١٥٤/١، و((المحرر الوجيز)) لابن  
عطية: ٣- ٥، و((تفسير القرطبي)): ١٥٤/٢، و((البحر المحيط)) لأبي  
حيان الغرناطي: ٤٢١/١، و((تفسير ابن كثير)): ٢٧٥/١، و((غريب  
القرآن)) لابن قتيبة ص ٦٣ ضمن ((القرطيين)) لابن مطرف الكناني.

(٤) انظر: ((تفسير البغوي)): ١٥٨/١.

تؤدّي معنىً واحداً، يلتقي في العدل، والفضل، والخيرية أو الخيار، أو تتلاقى في المعنى والنتيجة وإن اختلفت في العبارة، وهذا ما يسميه العلماء اختلاف التنوع<sup>(١)</sup>. والله أعلم.

#### رابعاً- مفهوم الوسطية اصطلاحاً:

والذي يمكن أن نخلص إليه في بيان معنى الوسطية أو مفهومها اصطلاحاً، فيما نريده في مثل هذا الموقف أو الموضع من البحث، دون أن نحاول صياغة تعريف جامع مانع، لصعوبة الحدود أحياناً، أو لشدة وضوحها أحياناً أخرى<sup>(٢)</sup>.

الذي نخلص إليه في معنى الوسطية أنها تعني: العدل والتوازن بين الأمور المتقابلة -حسيّة أو معنويّة- دون أن

---

(١) وهوما أشار إليه شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - عند حديثه عن اختلاف العلماء في التفسير فقال: ((وغالب ما يصح عن السلف من الخلاف يرجع إلى اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد. وذلك صنفان: أحدهما: أن يعبر كل واحد منهم عن المراد بعبارة غير عبارة صاحبه، تدل على معنى في المسمى غير المعنى الآخر، والمسمى واحد. والصنف الثاني: أن يذكر كل منهم من الاسم العام بعض أنواعه على سبيل التمثيل وتبنيه المستمع على النوع، لا على سبيل الحد المطابق للمحدود في عمومته وخصوصه)). انظر: ((مجموع الفتاوى)) ١٣/ ٣٤٠.

(٢) يقول الشاطبي رحمه الله: ((إن الحدود - على ما شرطه أرباب الحدود - يتعذر الإتيان بها. ومثل هذا لا يُجعل من العلوم الشرعية التي يستعان بها فيها. وهذا المعنى تقرر وهو أن ماهيات الأشياء لا يعرفها على الحقيقة إلا باريها، فتسوّر الإنسان على معرفتها رمي في عمائه)). انظر: ((الموافقات)) ٥٨/١.

يطغى أحدها على الآخر، بحيث يأخذ كلُّ منها مكانته وموضعه ومساره المحدّد له، فيما يدلُّ عليه الدليل الشرعي و الفطري، في بيان الشريعة الإسلامية، ارتقاءً نحو الأعلى والأفضل فيما يحاوله الإنسان.

### خامساً- بلاغة الأسلوب القرآني:

ولعلّه من المناسب هنا الإشارة إلى سبب اختيار لفظ «(وسطاً)» في الآية الكريمة، بدلاً من «(الخيار)» أو «(العدول)» مثلاً، وهو المعنى المقصود، والمعنى الأوّل إنما يدلُّ عليه بالالتزام؟

يقول الشيخ محمد عبده -رحمه الله-:

الجواب من وجهين:

(أحدهما) أنّ وجه الاختيار هو التمهيد للتعليل الآتي؛ فإنّ الشاهد على الشيء لا بدّ أن يكون عارفاً به، ومن كان متوسطاً بين شيئين فإنه يرى أحدهما من جانبٍ وثانيهما من الجانب الآخر، وأمّا من كان في أحد الطرفين فلا يعرف حقيقة حال الطرف الآخر، ولا حال الوسط أيضاً.

(وثانيهما) أنّ في لفظ «(الوسط)» إشعاراً بالسببيّة، فكأنه دليل على نفسه؛ أي: إنّ المسلمين خيارٌ وعدول؛ لأنهم وسطٌ،

ليسوا من أرباب الغلو في الدين المفرطين، ولا من أرباب التعطيل المفرطين، فهم كذلك في العقائد والأخلاق والأعمال.

ذلك أن الناس كانوا قبل ظهور الإسلام على قسمين:

- قسم تقضي عليه تقاليده بالمادية المحضة، فلا هم له إلا الحظوظ الجسدية، كاليهود والمشركون،

- وقسم تحكم عليه تقاليده بالروحانية الخالصة وترك الدنيا وما فيها من اللذات الجسدية، كالنصارى والصابئين وطوائف من وثنيي الهند أصحاب الرياضات.

وأما الأمة الإسلامية؛ فقد جمع الله لها في دينها بين الحقيين: حقَّ الروح، وحقَّ الجسد، فهي رُوحانية جسمية.

وإن شئت قلت: إنه أعطاها جميع حقوق الإنسانية، فإنَّ الإنسان جسمٌ وروحٌ، فكأنه قال: جعلناكم أمةً وسطاً تعرفون الحقين، وتبلغون الكمالين<sup>(١)</sup>.

---

(١) (تفسير المنار) للسيد رشيد رضا: ٤/٢ - ٥.

## سادساً- الوسطية وأخواتها:

تتصل الوسطية مع كلمات أخرى بنسبٍ وثيق، وتتفق معها في المعنى والغاية، فقد تكون مرادفةً لها، أو متضمنةً لمعناها، أو مُقتضى من مُقتضياتها؛ كالتوازن، والعدل أو الاعتدال، والاستقامة، والقصد أو الاقتصاد، والسداد.

### أ) الوسطية والتوازن:

التوازن مأخوذة من الواو والزاي والنون: (وزن)، وهي في اللغة العربية بناء يدل على تعديل واستقامة. يقال: وزنتُ الشيءَ وزناً. والزَّنة: قدر وَزْنِ الشيء؛ والأصل وَزَنَةٌ. ويقال: قام ميزان النهار، إذا انتصف النهار. وهذا يوازن ذلك، أي هو محاذيه. ووازنَ بين الشيئين موازنةً ووزاناً: ساوى وعادل. ووازن الشيءَ الشيءَ: عادله وقابله وحاذاه. وتوازن الشيئان: تساويا في الوزن. ووزينُ الرأي: مُعتدله. وهو راجح الوزن، إذا نسبوه إلى رجاحة الرأي وشدة العقل<sup>(١)</sup>.

وهذه المعاني المتفرعة عن المعنى الأصلي تلتقي مع معاني ((الوسط)) التي تقدمت آنفاً.

و التوازن بين الأمور المتقابلة، هي حالة من النسبية بها

---

(١) انظر: ((معجم مقاييس اللغة)): ٦ / ١٠٧، و((المعجم الوسيط)):

١٠٢٩/٢ - ١٠٣٠.

يتحقق الوضع الأمثل، فيقع كلُّ أمرٍ أو جانب على قدرٍ معيَّن باعتبارٍٍ موزون بحكمة ربانية «تُضبط فيها النَّسَبُ بين جوانب الحياة وقيَمِها؛ فالمال واللذة، والعمل والعقل، والمعرفة والقوة، العبادة والقراءة، والقومية والإنسانية، قِيَمٌ من قِيَمِ الحياة. والإسلامُ جعل لكلِّ منها موضعاً في نظام الحياة ونسبةً محدودة لا تتجاوزها حتى لا تطغى قيمة على قيمة»<sup>(١)</sup>.

وهي بذلك تلتقي مع الوسطية وتُرادفها، وتعود في مصدرها إلى القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رُوسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾ [سورة الحجر، ١٩].

وقوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٧-٩]. فقد جاء تفسير ((الميزان)) في هذه الآيات الكريمة بأنه ((العدل)) كما هو مرويٌّ عن مجاهد وغيره. ومعناها: وضع العدل بين خلقه في الأرض. ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ﴾، بالعدل، وقال أبو الدرداء وعطاء: معناه أقيموا لسان الميزان بالعدل<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: ((الفكر الإسلامي الحديث)) للأستاذ محمد المبارك ص ٦٥، و((الاقتصاد الإسلامي: مدخل ومنهاج))، د. عيسى عبيد، ص ٤٧ - ٤٩.

(٢) انظر: ((تفسير الطبري)): ١٧٧/٢٢، و((تفسير البغوي)): ٧/٥.

والعدْل هو الوَسْط - كما تقدم في المعنى اللغوي وكما يأتي بعد هذا مباشرة - فالتقى المعنيان وإن اختلف اللفظان.

(ب) الوسطية والاعتدال: العدل والاعتدال في لغة العرب هو الحكم بالعدل، والاستقامة، والتقويم، والتسوية، والمماثلة، والموازنة، والتزكية، والمساواة، والإنصاف، والتوسط.

ويقصد به اصطلاحاً: التزام المنهج العدل الأقوم، والحق الذي هو وسط بين الغلو والتنطع، وبين التفريط والتقصير. فالاعتدال والاستقامة وسطٌ بين طرفين هما: الإفراط والتفريط.

والاعتدال أيضاً: هو الاستقامة والتزكية والتوسط والخيرية.

والاعتدال يرادف الوسطية التي ميّز الله تعالى بها هذه الأمة، كما جاء في تفسير الآية سابقاً عن النبي ﷺ.

ولا يتحقق الاعتدال في الاعتقاد والعلم والعمل والدعوة والمنهج إلا بالتزام الكتاب والسنة وسبيل المؤمنين<sup>(١)</sup>.

---

(١) انظر: ((الصحيح)): ١٧٦٠/٥ - ١٧٦١، و((ترتيب القاموس المحيط)): ٣

١٧١/ - ١٧٢، و((لسان العرب)): ٤٣٠/١١ وما بعدها، و((مفردات ألفاظ القرآن)) ص ٥٥١ - ٥٥٣، و((بحوث ندوة أثر القرآن الكريم في تحقيق الوسطية))، ص ٦ - ٧.



## ج - الوسطية والقصد:

القصدُ في اللغة يدلُّ على الطلب للشيء مطلقاً، ويدلُّ على التوسطِ وطلبِ الأسدِّ.

وفي المعنى الثاني، وهو الذي يناسب المقام، يقال: قصدَ في الأمرِ واقتصدَ فيه: توسَّط، فلم يُفْرِط ولم يَفْرِطْ، وقصدَ في الحكم: عدل ولم يَمِلْ ناحيةً، وقصدَ في النفقة: لم يُسْرِف ولم يُقْتَرْ، وقصدَ في مَشْيِهِ: اعتدل فيه.

ورُويَ في الحديث الشريف عن ابن مسعودٍ -رضي الله عنه- مرفوعاً: «(ما عَالَ مِنْ اقْتَصَدَ)»<sup>(١)</sup> أي: ما افتقر من لا يُسْرِف في الإنفاق ولا يُقْتَر.

و يقال: هو على القصد، وعلى قصد السبيل: إذا كان راشداً.

والقصد: استقامة الطريق، يقال: طريق قصد، أي: سهل مستقيم.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في ((المصنف)) برقم (٢٦٦٠٤)، والإمام أحمد: ٣٠٢/٧ برقم (٤٢٦٩)، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) برقم (٦١٤٩)، والطبراني في ((الكبير)) برقم (١٠١١٨). وفي ((الأوسط)) برقم (٥٠٩٤). قال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) ٢٥٢/١٠، ((رواه أحمد والطبراني في "الكبير" والأوسط"، وفي أسانيدهم إبراهيم بن مسلم الهجري، وهو ضعيف)). وله شواهد

والقَصْدُ من الأمور: المعتدل الذي لا يميل إلى أحد طَرَفَيِ التَّفْرِيطِ والإِفْرَاطِ. وفي الحديث الشريف: ((الْقَصْدُ الْقَصْدُ تَبْلُغُوا))<sup>(١)</sup> أي: عليكم بالقصد من الأمور في القول والفعل، وهو الوَسْطُ بين الطَّرَفَيْنِ.

وفي الحديث الآخر: ((عليكم هَدْيًا قَاصِدًا))<sup>(٢)</sup> أي: طريقاً معتدلاً<sup>(٣)</sup>.

ومن طريف ما يُروى عن سفيان بن حسين قال: أتدري ما السَّمْتُ الصَّالِح؟ ليس هو بحلق الشَّارب ولا تشمير الثوب، وإنما هو لزوم طريق القوم. إذا فعل ذلك قيل: قد

---

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: ((لن ينجي أحدًا منكم عمله)) قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ((ولا أنا، إلا أن يتغمَّدني الله برحمة، سدّدوا وقاربوا، واغدّوا ورُوحوّوا، وشيء من الدُّلْجَةِ، والقصدُ القصدُ تَبْلُغُوا)) أخرجه البخاري برقم (٦٤٦٣).

(٢) عن بُرَيْدَةَ الأَسْلَمِيِّ قال: خرجت ذات يوم لحاجة، فإذا أنا بالنبيّ - صلى الله عليه وسلم - يمشي بين يدي، فأخذ بيدي فانطلقنا نمشي جميعاً، فإذا نحن بين أيدينا برجل يصلي يُكثر الركوع والسجود، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : ((أُثْرَاهُ يَرَأِي)) ؟ فقلت: الله ورسوله أعلم. فترك يدي من يده، ثم جمع بين يديه فجعل يصوّبهما ويرفعهما ويقول: ((عليكم هدياً قاصداً. عليكم هدياً قاصداً. عليكم هدياً قاصداً؛ فإنه من يشأ هذا الدين يغلبه)) رواه الإمام أحمد برقم (٢٢٩٦٣)، وصححه الحاكم: ٣١٢/١، وابن خزيمة برقم (١١٧٩).

(٣) انظر: ((معجم مقاييس اللغة)): ٩٥/٥، و((المصباح المنير))، ص ٥٠٤ - ٥٠٥، و((النهاية في غريب الحديث والأثر)): ٦٧/٤، و((المعجم الوسيط)): ٧٣٨/٢.

أصاب السَّمْتُ! وتدري ما الاقتصاد؟ هو المشي الذي ليس فيه غلوٌّ ولا تقصير<sup>(١)</sup>.

فالقصد والاقتصاد هنا هو العدل ومجانبة الغلوِّ، والبُعدُ عن الإفراط والتفريط المذمومين، وهو أيضاً: طلب الأحسن والأسدِّ. وبذلك يلتقي هذا اللفظ مع ((الوسط)) و((الوسطية)).

#### د - الوسطية والسداد:

قال ابن فارس: ((السَّين والدَّال أصل واحد، وهو يدلُّ على رَدْم شيءٍ ومُلاءمته. من ذلك: سَدَدْتُ الثُّلْمَةَ سَدًّا، وكلُّ حاجز بين الشيئين سَدٌّ. ومن ذلك: السَّديد، ذو السَّداد، أي الاستقامة؛ كأنه لا ثلْمة فيه. والصوابُ أيضاً سَدَادٌ، يقال: قلتَ سداداً، وسَدَّده الله عزَّ وجلَّ))<sup>(٢)</sup>.

فالسَّدَادُ والسَّدَدُ في اللغة: الاستقامة والقصد أو الاقتصاد، والتوسطُ في العمل، والصوابُ من القول والفعل<sup>(٣)</sup>.

وفي ((الصحيحين)) عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: ((لَنْ يُنَجِّيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ)) قالوا:

---

(١) انظر: ((التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد)) لابن عبد البر: ٦٨/٢١.

(٢) ((معجم مقاييس اللغة)): ٦٦/٣.

(٣) انظر: ((تهذيب اللغة)) للأزهري: ١٩٤/١٢، و((المصباح المنير)): ٢٧٠/١، و((المعجم الوسيط)): ٤٢٢/١ - ٤٢٣.

ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ((ولا أنا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ  
بِرَحْمَةٍ، سَدَّدُوا وَقَارِبُوا، وَاعْدُوا وَرَوْحُوا، وَشَيْءٌ مِنَ الدُّجَةِ،  
وَالْقَصْدَ الْقَصْدَ تَبَلَّغُوا))<sup>(١)</sup>.

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي - رحمه الله - في تعليقه على  
هذا الحديث:

((التَّسْدِيدُ: هو إصابة الغرض المقصود، وأصله من تسديد  
السهم إذا أصاب الغرض المرمى إليه ولم يخطئه...))

وقيل: أراد بالتَّسْدِيدُ: العمل بالسَّدَاد - وهو القصد  
والتوسط في العبادة - فلا يقصِّر فيها أمر به ولا يتحمَّل منها  
مالا يُطيقه.

قال النَّضْرُ بْنُ شَمِيلٍ<sup>(٢)</sup>: ((السَّدَادُ)): القصد في الدين  
والسبيل، وكذلك ((المقاربة))، المراد بهما: التوسط بين التفریط  
والإفراط، فهما كلمتان بمعنى واحد.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٤٦٣)، ومسلم برقم (٢٨١٨).

(٢) أبو الحسن، النَّضْرُ بْنُ شَمِيلٍ بن خرشة بن يزيد المازنيّ التميمي، أحد  
الأعلام بمعرفة أيام العرب ورواية الحديث وفقه اللغة، توفي سنة (٢٠٣)  
هـ). انظر: ((الأعلام)) للزُّركلي: ٣٣/٨.

وقيل: بل المرادُ بـ ((التَّسديد)) : التَّوسُّط في الطاعات بالنسبة إلى الواجبات والمندوبات، وبـ ((المقارَبة)) : الاقتصار على الواجبات))<sup>(١)</sup>.

وبذلك أيضاً يظهر التَّوافق والتَّلاقي في الدَّلالة بين ((السَّداد)) و ((الوسْط)) أو ((الوسطيَّة))، وتقوى وشائج النسب والقربى بينهما.

### سابعاً- الوسطية وأضدادها:

وإذا كانت الأشياء تتميز بأضدادها<sup>(٢)</sup>، فإنَّ الوسطية تتميز وتبين بتلك الأضداد التي تتنافى معها، وتتنبك منهجها ومظاهرها، كالغلو، والتَّنتع، والتَّطرُّف. وفيما يلي إشارات موجزة لمعانيها ومدلولاتها.

أ) الغلو: هو مجاوزة الحدِّ المشروع، والتَّشدُّد في الدِّين. وأصله في اللغة العربية -كما يقول ابنُ فارسٍ- يدلُّ على ارتفاعٍ ومجاوزةٍ قَدْرٍ<sup>(٣)</sup>.

---

(١) ((فتح الباري بشرح البخاري)) لابن حجر: ١٥١/١ - ١٥٢. وانظر:

((الفتح)) أيضاً للحافظ ابن حجر العسقلاني: ٣٠٠/١١

(٢) قال في ((شرح نهج البلاغة)) ١٢٥/١: فقد جاء في أمثالهم: ((الضدُّ يُظهر

حُسْنَهُ الضدُّ)). وقال أبو الطيب:

ونذمُّهم وبهم عَرَفْنَا فضله و بصدِّها تَتَبَّيْنُ الأشياء

(٣) انظر: ((معجم مقاييس اللغة)): ٣٨٧/٤.

يقال: غَلَا في الأمر يَغْلُو غُلُوءًا، أي جاوز فيه الحدَّ. ويقال: غَلَا غَلَاءً فهو غَالٍ، وَغَلَوْتَ بالسَّهْمِ غُلُوءًا وَغَلُوءًا: إذا رَمَيْتَ به أَبْعَدَ مما تقدر عليه فارتفع في ذهابه وجاوز المدى، وَغَالَى في الأمر وَغَالَى فيه غِلَاءً وَمَغَالَاءً: بالغَ فيه، وَغَلَا في الدِّينِ غُلُوءًا: تشدَّدَ وتصلَّبَ فيه حتى جاوز الحدَّ وأفرطَ، فهو غَالٍ<sup>(١)</sup>.

وهذه المعاني اللغوية ملاحظةٌ أيضاً وظاهرةٌ في التعريف الاصطلاحي الذي ذكره العلماء، كقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: ((الغلُ هو مجاوزة الحدِّ، بأن يُزاد في الشيء - في حمده أو ذمه - على ما يستحقُّه))<sup>(٢)</sup>.

وقول الحافظ ابن حَجَرٍ العسقلاني في بيان معناه: ((المبالغة في الشيء، والتشديد فيه بتجاوز الحدِّ))<sup>(٣)</sup>.

والضَّابط في ذلك كُلُّهُ هو: تعدِّي ما أمر الله به، وهذا التَّعدِّي هو الطغيان الذي نهى الله تعالى عنه في قوله: ﴿وَلَا

(١) انظر: ((صاح اللغة)) للجوهري: ٢٤/٢، و((المصباح المنير)) للفيومي، ص ٤٥٢ - ٤٥٣، و((المعجم الوسيط)): ٢/٦٦٠ - ٦٦١.

(٢) انظر: ((اقتضاء الصراط المستقيم)): ١/٢٨٩. والحدُّ للشيء هو النهاية لما يجوز من المباح المأمور به، وغير المأمور به. ((مجموع الفتاوى)): ٣/٣٦٢.

(٣) انظر: ((فتح الباري)) لابن حجر: ٢٧٨/١٣.

تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلُّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾<sup>(١)</sup>  
[سورة طه: من الآية ٨١].

وقد يكون الغلو غلوًّا في الأشخاص بتعظيمهم ورفع مكانتهم وإطرائهم بما يخرج عن حدود الشرع، وكان هذا سبباً في ضلال الرافضة والسبئية الذين غالوا في علي عليه السلام، وكذلك غلوُّ بعض المتصوفة في شيوخم حتى ألحقوهم بما لا يستحقونه، فيدعونهم من دون الله، ويصفونهم بما هو من خصائص الربوبية والألوهية، وكان سبباً في غلو النصارى في نبهم عليه السلام -أيضاً- حتى ادّعوا له الربوبية، وسبباً في غلوهم وغلو اليهود في أحبارهم ورهبانهم، فاتخذوهم أرباباً من دون الله.

هذا، وقد يكون الغلو تشدداً في الدين والعبادة، كغلو الخوارج الذين كفّروا مخالفيهم من المسلمين غلوًّا منهم في فهم آيات الوعيد وأحاديثه، ومثل غلو بعض المتعبدين في عباداتهم وانقطاعهم عن الحياة العملية تأثراً بالرهانية التي ابتدعها النصارى.

والخلاصة الموجزة في ذلك: أنَّ الغلوَّ في ضوء النصوص

---

(١) انظر: ((تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد)) للشيخ سليمان ابن

عبد الله، ص ٢٥٦.

الشرعية يمكن تصنيفه بحسب ما يتعلق به إلى ما يلي<sup>(١)</sup>:

١- أن يكون متعلقاً بفقہ النصوص، وذلك بأحد أمرين:

(أولهما): تفسير النصوص تفسيراً متشدداً يتعارض مع السمة العامة للشرعة ومقاصدها الأساسية، فيشدد على نفسه، وعلى الآخرين.

و(ثانيهما): تكلف التعقُّق في معاني التنزيل لما لم يُكَلَّف به المسلم، ومن هنا نشأت الفرق كلها أو أكثرها.

٢- أن يكون الغلو متعلقاً بالأحكام، وذلك أيضاً يكون بأحد أمرين:

(أولهما): إلزام النفس، أو الآخرين، بما لم يوجبه الله - عز وجل - عبادةً وترهباً. ومعيار هذا الذي يحدده هو الطاقة الذاتية، حيث إن تجاوز الطاقة وإن كان بممارسة شيء مشروع الأصل يعتبر غلوّاً. والقضية في هذا نسبية مناطها قدرة الشخص ومدى تحمله، يقول الإمام الشَّاطِبيُّ - رحمه الله -: ((الفرق بين المشقة التي لا تعدُّ مشقة عادةً، أو التي تعدُّ مشقةً، هو أنه إن كان العمل يؤدي الدوام عليه إلى الانقطاع

---

(١) انظر: ((مفهوم الغلو في الكتاب والسنة))، د. صالح بن غانم السدلان، ص ٢٠٠ - ٢٠٣، ضمن ((بحوث ندوة أثر القرآن الكريم في تحقيق الوسطية)). وأشار فيه إلى مصادره ومراجعته.



عنه، أو عن بعضه، أو وقوع خلل في صاحبه: في نفسه، أو ماله، أو حال من أحواله، فالمشقة هنا خارجة عن المعتاد، وإن لم يكن فيها شيء من ذلك - في الغالب - فلا يعدُّ في العادة مشقة<sup>(١)</sup>.

وطاقات الناس مختلفة، وقدراتهم متفاوتة؛ فمن ألزم نفسه فوق طاقتها، أو أدَّى استمراره على العمل إلى انقطاع عنه أو عن أعمال شرعية أخرى من الحقوق المتعلقة بالإنسان فقد غلا وتجاوز الحدَّ.

(ثانيهما): تحريم الطيبات التي أباحها الله - عز وجل - على وجه التعبُّد، وتركُ الضرورات أو بعضها، وذلك كالأكل والشرب والنوم والنكاح، فتركها يعتبر غلوًّا. ويتضح ذلك من قصة النفر الثلاثة في ((الصحيحين))<sup>(٢)</sup>.

---

(١) ((الموافقات في أصول الشريعة)): ١٢٣/٢.

(٢) عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي - ﷺ - يسألون عن عبادة النبي - ﷺ - فلما أُخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي - ﷺ ؟ قد غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله - ﷺ - إليهم، فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني» أخرجه البخاري في النكاح برقم (٥٠٦٣)، ومسلم برقم (١٤٠١) واللفظ للبخاري.

٣- أن يكون الغلو متعلقاً بالموقف من الآخرين؛ حيث يقف الإنسان من بعض الناس موقف المادح الغالي الذي يوصل ممدوحه إلى درجة العصمة، ويقف من بعضهم الآخر موقف الذم الغالي الذي يصف من يخالفه بالكفر والمروق من الدين، مع أنه من أهل الإسلام.

فيتضح مما سبق أن :

أ- الغلو في حقيقته حركة في اتجاه القاعدة الشرعية والأوامر الإلهية، ولكنها حركة تتجاوز في مداها الحدود التي حدّها الشارع<sup>(١)</sup>، فهو مبالغة في الالتزام بالدين، وليس خروجاً عنه في الأصل، بل هو نابع من الرغبة في الالتزام به.

ب - الغلو ليس دائماً فعلاً، بل يدخل في الترك أيضاً؛ فترك الحلال وتحريمه ضرب من ضروب الغلو، هذا إذا كان على سبيل التدبّر والالتزام بالدين.

ج- نسبة الغلو إلى الدين بقولهم: ((الغلو الديني)) أو ((التطرف الديني)) تجوز في العبارة؛ إذ الغلو إنما هو أسلوب التدبّر، لا الدين نفسه<sup>(٢)</sup>.

---

(١) انظر: ((التطرف غير الجريمة))، د. أحمد كمال أبو المجد، ص ٣٦ -

٣٧. نقلاً عن الدكتور السدلان، المصدر السابق.

(٢) المصدر نفسه.

د - الحكم على العمل بأنه غلوٌ يجب أن يُتَأَنَّى فيه، وينظر إلى العمل بدقة، فقد يحكم عليه بأنه غلوٌ مع أنه سليمٌ، ولكنَّ الوسيلة إليه قد تكون من باب الغلو، فيقع الخلط من هذا الباب.

هـ - ليس من الغلو طلبُ الأكمل في العبادة، ولكن من الغلو الإثقال على النفس إلى درجة الملل، قال بعض العلماء: ((وليس المرادُ منع طلب الأكمل في العبادة، فإنه من الأمور المحموده، بل منع الإفراط المؤدي إلى الملل<sup>(١)</sup>، أو المبالغة في التطوع المفضي إلى ترك الأفضل<sup>(٢)</sup>)).

ز - ليس من العدل أن تصف إنساناً بالغلو؛ لأنه التزم رأياً فقهيّاً متشدداً - من وجهة النظر المخالفة - إذا كان التزامه بناءً على أمرين:

- اجتهادٌ سائغٌ شرعاً، لمن بلغ درجة الاجتهاد.  
- تقليدٌ لعالمٍ شرعٍ موثوقٍ في دينه وعلمه، لمن لم يبلغ درجة الاجتهاد.  
وتوفرُ أحد هذين الشرطين دليلٌ على صحة الالتزام وخلوه

---

(١) الملل: فتور يعرض للإنسان من كثرة مزاوله شيء، فيوجب الكلال والإعراض عنه. انظر: ((المعجم الوسيط)): ٨٨٧/٢.

(٢) انظر: ((فتح الباري)) لابن حجر العسقلاني: ٩٤/١.

من اتَّبَعَ الهوى<sup>(١)</sup>.

ولذلك جاء التحذير من الغلو، فقال الله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ  
الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ [النساء: من الآية ١٧١]. وهي  
ليست خاصة بأهل الكتاب لأنَّ العبرة بعموم اللفظ لا  
بخصوص السبب.

وقال النبي ﷺ: «يَاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ  
كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوَّ فِي الدِّينِ»<sup>(٢)</sup>.

والأحاديث في ذلك كثيرة تنهى عن الغلو وتبين آثاره<sup>(٣)</sup>.  
ب - التنطع: وهو التعمق والتكلف في الشيء من قولٍ أو  
عملٍ أو عبادة.

وهو في اللغة العربيّة مأخوذ من النون والطاء والعين، وهو  
أصلٌ يدلُّ على بسطٍ في شيء وملاسة.

والتنطع في الكلام: التعمق والمغالاة فيه، لأنَّه يتبسّط فيه.

---

(١) انظر: ((مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية)) ٤٣/٢٩.

(٢) أخرجه النسائي: ٢٦٨/٥، ٢٦٩، وابن ماجه برقم (٣٠٢٩)، وصححه ابن  
حبان ص (٢٤٩) من «موارد الظمآن»، وابن خزيمة: ٢٧٤/٤، وصححه  
الحاكم: ٤٦٦/١، ورواه الإمام أحمد في «المسند»: ٢١٥/١، والبيهقي في  
«السنن»: ١٢٧/٥، وابن أبي عاصم في «السنة»: ٤٦/١، و ٣٤٧.

(٣) انظر بالتفصيل: «الاعتصام»: ٢٥٨/١، ٢٥٩، «الوصية الكبرى» لابن تيمية ص

(٨٤) وما بعدها، «تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد» ص ٣٠٥ -

(٣١٨)، و«الغلو في الدين»، عبدالرحمن اللويحق، ص ٨١ - ٨٧.

وفي الحديث الشريف يقول رسول الله ﷺ: «هلك المتنطعون، هلك المتنطعون، هلك المتنطعون»<sup>(١)</sup>.

وعن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: «والله الذي لا إله غيره، ما رأيتُ أحداً كان أشدَّ على المتنطعين من رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وما رأيتُ أحداً أشدَّ عليهم بعده من أبي بكر، وإني لأظنُّ عمرَ -رضي الله عنه- كان أشدَّ أهل الأرض خوفاً عليهم، أو لهم»<sup>(٢)</sup>.

و المتنطعون: هم المتعمقون المغالون في الكلام، الذين يتكلمون بأقصى حلو قهم تكبُّراً، مأخوذ من النطع وهو الغار الأعلى في الفم الذي يظهر عندما يتعمق في الكلام ويتشدق<sup>(٣)</sup>.  
ثم استعمل «التنطع» في كل تعمق ومجازة للحد في القول والفعل، وفي العبادات وفي العادات.

---

(١) أخرجه مسلم في العلم، باب هلك المتنطعون: ٤ / ٢٥٥

(٢) أخرجه الدارمي في باب من هاب الفتيا وكره التطلع والتبدع: ٦٥/١، وأبو يعلى: ٤٣٧/٨، والطبراني في ((الكبير)): ١٠ / ١٧٤. وقال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) ١٠ / ٢٢٥١: ((رجاله ثقات)).

(٣) انظر: ((مقاييس اللغة)): ٥ / ٤٤٠، و((القاموس المحيط)): ٤ / ٣٩١، و((لسان العرب)): ٨ / ٣٥٧، و((المعجم الوسيط)): ٢ / ٩٣٠، و((غريب الحديث)): لابن الجوزي: ٢ / ٤١٦، و((شرح النووي على صحيح مسلم)): ١٦ / ٢٢٠، و((مجمع بحار الأنوار)) للفتني الهندي: ٤ / ٧٢٤، و((مجموع فتاوى ومقالات متنوعة))، للشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز: ١٨٠ / ١.

وفي هذا يقول الإمام أبو إسحاق الشَّاطِبيُّ -رحمه الله-:  
 ((الاقتصار على البشع في المأكول من غير عذر تنطُّع، والاقتصار  
 في الملبوس على الخشن من غير ضرورة، من قبيل التشديد  
 والتنطُّع المذموم، وفيه أيضاً من قصد الشهرة ما فيه))<sup>(١)</sup>.

والتنطُّع أيضاً: الاختلاف، كما في الأثر عن عبد الله بن  
 مسعود -رضي الله عنه- قال: «إيَّاكم والتنطُّع والاختلاف،  
 فإنَّما هو كقول أحدكم: هَلَمْ وتعال»<sup>(٢)</sup>.

أراد النهي عن الملاحاة في القراءات المختلفة، وأنَّ مرجعها  
 كلُّها إلى وجهٍ واحد من الصواب، كما أن هَلَمْ بمعنى تعال<sup>(٣)</sup>.  
 وبهذا يلتقي التنطُّع مع الغلو، أو يعبر عن صورة من  
 صوره، ومظهر من مظاهره، فيكون مضاداً للوسطية والاعتدال.  
 (ج) التطرُّف: وهو مشتق من الطَّرَف، أي الناحية. أو من  
 جانب الشيء أو منتهاه. وتطرَّف: أتى الطَّرَفَ، وجاوز حدَّ  
 الاعتدال ولم يتوسط<sup>(٤)</sup>.

(١) ((الاعتصام)): ٢٢٨/١.

(٢) ذكره أبو عبيد في ((غريب الحديث)): ١١/٢، وأخرجه عنه الطبري موقوفاً:  
 ٥٠/١، ورواه مرفوعاً في: ٤٣/١ دون موضع الشاهد وهو قوله ((إيَّاكم والتنطُّع)).

(٣) انظر ((النهاية في غريب الحديث والأثر)): ٧٤/٥.

(٤) ((القاموس المحيط)): ٣ - ٦٩ - ٧٠، و ((لسان العرب)): ٢١٧/٩ وما  
 بعدها، و ((مفردات ألفاظ القرآن)) ص ٥١٧.

فالتطُّرف هو تجاوز حدِّ الاعتدال. وبذلك يلتقي مع الغلو  
ويُجانب الوسطية.

وقد شاع استخدام كلمة «التطرف» ترجمةً للكلمة الإنجليزية  
extremism في العقد الماضي في منطقتنا، وتردد معها استخدام  
كلمة «الأصولية» ترجمةً للكلمة الإنجليزية fundamentalism  
وهي مصطلح أُطلق على حركة احتجاج مسيحية ظهرت في القرن  
العشرين، تؤكد على ضرورة التفسير الحرفي للكتاب المقدس  
عندهم كأساس للحياة الدينية الصحيحة.

وهو يطلق أيضًا على أية حركة أو اتجاه يشدّد بثبات على  
التمسك الحرفي بمجموعة قيم ومبادئ أساسية.

ولم يُقدّر لهذا المصطلح أن يشيع في منطقتنا العربية لاختلاف  
دلالة «الأصولية» في اللسان العربي التي توحى بالتمسك  
بالأصول، وهو أمر محمود، أو تشير لعلم أصول الفقه - أحد أهم  
علوم الشريعة الإسلامية - فكان أن استُخدم مصطلح «التطرف»  
للدلالة على التشدّد وتجاوز الحدِّ في الدين في الكتابات العربية. ولم  
يُستعمل في مصادرنا الأصلية، فهو مصطلح دخيل، وإن كان يلتقي  
مع التشدّد والغلو، ويُجانب الوسطية<sup>(١)</sup>.

---

(١) قراءة في شروط الوسطية، أحمد صدقي الدجاني، ص (١)، منشور في موقع  
((إسلام أون لاين)) على الشبكة العالمية للمعلومات. وانظر: ((الأصولية  
الإنجيلية)) تأليف صالح بن عبد الله الهذلول، ص (١٠٠ - ١٠٤)، و((الإرهاب:  
دراسة لغوية وشرعية وقانونية)) عثمان جمعة ضميرية، ص (٧٩ - ٨٢).

## المبحث الثاني

### وسطية الإسلام بين الأديان

#### أولاً- الإسلام بمعناه العام:

هو إسلام الوجه لله تعالى، بمعنى التذلل لطاعته والإذعان لأمره والخضوع الكامل له بالجوارح ظاهراً وباطناً، والخلوص من الشرك بكل صورته وأشكاله.

قال الله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [سورة البقرة].

وقد أخبر الله تعالى في غير موضع من كتابه الكريم: أن الإسلام هو دين جميع الأنبياء والمرسلين من أولهم إلى آخرهم، وهو دين من أتبعهم من الأمم السابقة، وبذلك أعلن الوحدة الكبرى للدين من لدن آدم ونوح إلى موسى وعيسى - عليهم السلام - إلى أن ختموا بمحمد ﷺ<sup>(١)</sup>.

---

(١) انظر بالتفصيل: ((تفسير الطبري)): ٢٥/١٤ - ١٥، و((تفسير ابن كثير)): ٢:

١٦٧/، و((النبؤات)) لابن تيمية، ص ٨٧، و((شرح العقيدة الطحاوية)) لابن أبي العز، ص ٤٦٢، و((تثبيت دلائل النبوة)) للقاضي عبد الجبار بن أحمد الهمداني: ١٠٨/١، و((الإسلام وعلاقته بالشرائع الأخرى))، عثمان جمعة ضميرية، ص ١١ - ٢٧.



وبالمعنى الخاص: خصَّ الله تعالى الدعوة التي أنزلها على محمدٍ < باسم «الإسلام» وجعلها دعوة عامة للناس جميعاً، ختم بها الرسائل السابقة كلّها، وتكفّل بحفظ مصدرها وكتابتها المنزل، وجعله مصدّقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيماً عليه، وخصَّ أتباعها باسم «الأمة المسلمة» وباسم «المسلمين» تشریفاً لها، واستجابةً لدعوة أبي الأنبياء، إبراهيم عليه السلام، وإظهاراً لمعنى الاستسلام لله والانقياد لربِّ العالمين.

فأصبحت كلمة الإسلام - هكذا معرّفة بالألف واللام مطلقاً - لا تنصرف إلا إلى هذا الدين، وأصبحت كلمة «المسلمين» علماً على هذه الأمة التي جعلها الله تعالى ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: من الآية ١١٠]، وجعلها الأمة القائدة الرائدة الشاهدة على الأمم جميعها، لأنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله، وهي أمة العدل والوسط، تحمل ميزان العدالة من منتصفه ولا تلوي على الحافات والأطراف<sup>(١)</sup>.

(١) انظر بالتفصيل: ((الرسالة التدمرية)) لشيخ الإسلام ابن تيمية، ص ١١٣، وهي في ((مجموع الفتاوى)): ١/٣ - ١٢٨، و((الحاوي للفتاوى)) للسيوطي: ٢١٩/٢ - ٢٢٣.

وهذا «الدِّين»: «الإسلام» منهجٌ للبشر، ينبغي أن يصرف حياة الناس وينظمها، ولذلك يشمل عقيدةً تستقرُّ في قلب المسلم ويكون لها أثرها في حياته وتصرفاته، وعبادةً تحدّد صلة العبد بربّه تبارك وتعالى، وشرعةً أو منهجاً تستقيم به حياة الإنسان في جميع مجالاتها ومستوياتها، وسلوكاً أو أخلاقاً تتمُّ بها المكارم التي تعاقب الأنبياء والرسل على الدعوة إليها، ويشمل أيضاً الأصول السليمة التي نتخذها للنظر والاستدلال في معرفة هذه العقيدة والعبادة والسلوك<sup>(١)</sup>.

وإذا كان الإسلام منهجاً شاملاً متكاملًا، يشمل الاعتقاد والعبادة والأخلاق والشرعية والمنهج، فإن هذه الجوانب كلها مترابطة، لا يمكن أن نعزل جانباً منها عن سائر الجوانب الأخرى، وكلُّ جانب منها يتأثر بالجوانب الأخرى، ويؤثر فيها.

فالإيمان يدعو إلى العبادة الخالصة لله تعالى، وكلّما قوي إيمان المرء بالله ازداد طاعةً وتقرباً إلى الله تعالى. كما أن هذا الإيمان هو الركيزة القوية للأخلاق، فلا أخلاق مستقيمة بلا إيمان، ولا ضمير للمرء بلا إيمان، وجميع جوانب النشاط الإنساني في الشريعة الإسلامية ترتكز على الإيمان، وترتبط بالشعور بمراقبة

---

(١) انظر: ((أباطيل و أسمار))، محمود محمد شاكر، ص (٥٢٢ - ٥٢٣)،

و((مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية))، عثمان ضميرية، ص (٢٧ - ٤٢).

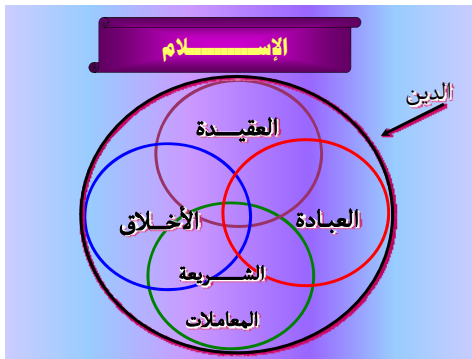
الله تعالى وبالتذكير بعقد الإيمان.

والعبادة تؤثر في الإيمان زيادة وكماً، وتتكامل مع الأخلاق وترتبط بها، لأنها سبب لاستقامتها، وتظهر آثارها في سلوك المؤمن وأخلاقه في الدنيا قبل الآخرة.

ومن جهة أخرى نجد في الأخلاق التزاماً بأمر الله تعالى واتباعاً لهدي رسوله ﷺ، فهي بذلك طاعة وعبادة، كما أنها منظوية ضمن شعب الإيمان وأعماله، وفي الوقت نفسه يبنى الإسلام من الأخلاق قاعدة تقوم عليها الأحكام والتشريعات في كل شؤون المجتمع الإسلامي.

وهكذا تتكامل هذه العناصر والمكونات والأحكام، وتترابط فيما بينها لتعطي صورة كاملة واضحة عن هذا الدين بعمومه وشموله.

وهذا الشكل الآتي يوضح ذلك بهذه الدوائر المتداخلة:



وبكلمة موجزة: إِنَّ هذه الجوانب التي يتكوّن منها الدّين الإسلامي متكاملةٌ مترابطة، يمكن تشبيهها بالدوائر المتداخلة، ولا يجوز أن نفصل جانباً منها عن سائر الجوانب، ولذا نجد في كتاب الله تعالى كثيراً من الآيات الكريمة تجمع بين هذه الجوانب كلّها في سياقٍ واحدٍ يشير إلى هذا التكامل والترابط، كما في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٧٧].

## ثانياً- مظاهر وسطية الإسلام:

ومن أهم خصائص هذا الإسلام - الذي أكرمنا الله تعالى به - أنه وسط في الملل والأديان، جعله الله تعالى وسطاً بين الإفراط والتفريط، أو بين الغلو والتقصير.

وتظهر وسطية الإسلام هذه في المجالات أو النواحي التي ألمحنا آنفاً إلى أن الدّين يشملها كلّها.

وإذا أردنا الحديث عن مظاهر الوسطية ومجالاتها والأمثلة التي تشير إليها، فإنّ هذا يقودنا لعرض أحكام الدّين بجملة؛

لأنَّ كُلَّ حَكْمٍ شرعيٍّ، أيّاً كان مجاله، لا يخرج عن الوسطية والاعتدال، حيث إنَّ الإسلام هو الدِّين ((الوسطُ)) منهجاً وسلوكاً وأحكاماً ورسالة ينبغي علينا حملها والدعوة إليها. ولما كان ذلك العرض الشامل متعذراً بالنسبة لبحث مختصر كهذا البحث المتواضع، فحسبنا إشارات سريعة - ولكنها كافية بدلالاتها - إلى أهمِّ رؤوس موضوعات هذه المظاهر وأمثلتها ومؤيِّداتها<sup>(١)</sup>:

### أ - فني العقيدة:

- المسلمون وسط في أنبياء الله ورسله وعباده الصالحين، فهم لم يغفلوا فيهم غلَوَّ البوذيين وغلَوَّ النصارى الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزَّى بْنُ أَللهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ أَللهِ ۚ ذَٰلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ

---

(١) انظر بشكل عام: ((مجموع فتاوى ابن تيمية)) ٣/ ٣٧٠ - ٣٧٣، لابن تيمية، و((مدارج السالكين))، ٢/ ٤٩٦، ((الفوائد))، ص ١٨٣ كلاهما لابن القيم، و((تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)) لابن سعدي، ص ٧٠، و((مجموع فتاوى ومقالات متنوعة))، للشيخ عبد العزيز ابن باز، ٢/ ٢٤٦، ٣/ ٢٠٤ - ٢٠٦، ٤/ ٢٧٨، ٥/ ١٥٩، و((الخصائص)) لسيد قطب، ص ١٣٦ وما بعدها، و((صفوة الآثار والمفاهيم))، للشيخ عبد الرحمن الدوسري، ٢/ ٣٩٠. وستأتي مراجع أخرى في مناسباتها في الموضوعات التي تدرج ضمن هذه الفقرة.

كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَتِلْهُمْ اللَّهُ أَنْفَ يُؤَفِّكَونَ ﴿٣٠﴾ اتَّخَذُوا  
أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ  
مَرْيَمَ وَمَا أُمُورُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ  
سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿سورة التوبة: ٣٠ - ٣١﴾.

ولا جفوا عنهم كما جفت اليهود، فكانوا يقتلون الأنبياء  
بغير حق، ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس، وكلما  
جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم كذبوا فريقاً وقتلوا فريقاً،  
وكذبوا على ربهم، وقد حكى الله تعالى عنهم ذلك فقال:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ حَقٍّ  
وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ  
أَلِيمٍ﴾ [سورة آل عمران: ٢١].

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَفَقَيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى  
ابْنَ مَرْيَمَ الْبِكِينَةَ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ  
أَسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [سورة البقرة: ٨٧].

وذلك هو شأن اليهود والنصارى، الذين كذبوا رسل الله  
إلى خلقه بوحيه، حيث فرقوا بين الله ورسله في الإيمان، فأمنوا  
ببعض الأنبياء وكفروا ببعض، بمجرد التشهي والعادة وما  
ألقوا عليه آباءهم، لا عن دليل قادم إلى ذلك، فإنه لا سبيل  
إلى ذلك الدليل، بل بمجرد الهوى والعصية.

فاليهودُ المغضوب عليهم: آمنوا بالأنبياء إلا عيسى ومحمدًا -عليهما الصلاة والسلام- والسَّامِرَةُ منهم: لا يؤمنون بنبيٍّ بعد يوشعَ خليفة موسى بن عمران.

والنَّصارى الضَّالُّون: آمنوا بعيسى وبالأنبياء من قبله، وكفروا بخاتمهم وأشرفهم محمدٌ -صلى الله عليه وسلم- ومن كِلا الفريقين أو الطائفتين مَنْ آمَنَ بنبوة محمدٍ -صلى الله عليه وسلم- ولكن على أنه نبيٌّ للعرب خاصة، وأن رسالته ليست رسالة عامة للبشر كافة، ولا لبني إسرائيل -بزعمهم<sup>(١)</sup>- ونحو هذا من تفرقاتهم التي كانت تعتُّ وزوراً وضلالة، واتَّخذوا بين أضعاف ذلك طريقاً إلى الضلالة التي أحدثوها والبدعة التي ابتدعوها، يدعون الناس إليه، فكفروا عندئذ بالله ورسله على ما يؤدي إليه مذهبهم وتقتضيه آراؤهم وتحكُّماتهم- وإن لم يصرِّحوا بأنهم يؤمنون بالله ويكفرون برسله- بل حصل كفرهم بطريق الالتزام، فالإيمان ببعض الأنبياء والرسل، والكفر ببعضهم الآخر كفرٌ بالله تعالى وتفریقٌ بين الله ورسله، لأنه -عزَّ وجلَّ- قد أمرهم بالإيمان

---

(١) ومنهم فرقة العيسوية من اليهود، وهي تقول بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ومعجزاته، وتنكر أنه بعث إلى غير العرب. انظر: ((اعتقادات فرق المسلمين)) للرازي، ص ٨٣، و((الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح)) لابن تيمية: ٢٨/١ فما بعدها.

بجميع الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- وما من نبيٍّ إلا وقد أخبر قومه بحقيقة دين نبينا محمدٍ -صلى الله عليه وسلم- فمن كفر بواحد كفر بالكلِّ، وكفر بالله تعالى أيضاً من حيث لا يشعر<sup>(١)</sup>. فقال الله تعالى عنهم:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ۖ (١٥٠) أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [سورة النساء: ١٥٠-١٥١].

أما المؤمنون المسلمون: فقد آمنوا برسل الله جميعاً وعزّروهم ووقّروهم وأحبّوهم وأطاعوهم، ولم يعبدوهم، ولم يتّخذوهم أرباباً، وآمنوا بجميع الكتب المنزلة على الرسل والأنبياء، فكان ذلك وسطيةً وتوازناً بين أمرين مذمومين. فقال الله تعالى عنهم:

﴿أَمَّا الرُّسُلُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [سورة البقرة: ٢٨٥].

(١) انظر: ((تفسير الطبري)): ٣٥٢/٩-٢٥٣، و((تفسير ابن كثير)): ٥٧٣/١، و((الجواب الصحيح)) لابن تيمية: ٣١/١-٣٧، و١٦١-١٧٥، و((الرسالة المحمدية)) للسيد سليمان الندوي، ص ٢٢٣-٢٢٦.



﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرُهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [سورة النساء: ١٥٢].

وبذلك يعلن الإسلام وحدة الدين من لدن آدم، ومن لدن أبي الأنبياء إبراهيم -عليه السلام- إلى عيسى ابن مريم، إلى دعوة الإسلام الأخيرة المنزلة على خاتم الرسل والأنبياء محمد -عليه وعليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم-، ويدعو أهل الكتاب إلى الإيمان بهذا الدين الواحد، كما قال الله تعالى:

﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٣٦].

● وكذلك الوسطية والتوازن بين عبودية الإنسان المطلقة لله، ومقام الإنسان الكريم في الكون، فقد نأى الإسلام بعقيدته الصّافية من كل الإفراطات والتفريطات ومن كل الهزات والأرجحات التي تعاورت المذاهب والمعتقدات والتصورات ما بين تأليه الإنسان في صوره الكثيرة، وتحقير الإنسان إلى حدّ الزرارة والمهانة.

ويبدأ الإسلام فيفصل فصلاً تاماً بين حقيقة الألوهية وحقيقة العبودية، وبين خصائص الألوهية وخصائص العبودية.. بينما تقول الكنيسة بالوهية المسيح -عليه السلام -

على اختلاف المذاهب الكنسية - كما أن المذاهب والفلسفات الأوروبية وما قام عليها من مناهج التفكير لما أعلنت رفعة الإنسان ومقامه، جعلت ذلك على حساب إيمانها بألوهية الربّ سبحانه وما ينبغي له...

• وتوسّطت العقيدة الإسلامية كذلك في الاهتمام بالمجالات المادية والروحية ونأت عن الإفراط والتفريط في كليهما.. وتفصيل هذا قد يخرج بنا عن الاختصار والإيجاز، فحسبنا هذه الإشارة.

### ب - وفي مجال العبادة والتحليل والتحریم والتشريع:

• جاء الإسلام وسطاً بين الرّهبانّيّة التي قطعت كلّ صلة بالحياة وانقطعت للعبادة، وبين الإغراق في المجال المادي والاهتمام بالنواحي الحسيّة والمادية والطغيان المالي والانصراف عن العبادة وترقية النفس...

• كما أن أمر التحليل والتحریم جاء في الإسلام وسطاً بين اليهود الذين حرّم عليهم كثير من أنواع الطعام واللباس، بسبب ظلمهم، فلا يأكلون ذوات الظفر مثل الإبل والبط.. والنصارى استحلوا الخبائث وجميع المحرمات وباشروا النجاسات.

أما المؤمنون المسلمون فقد أحلَّ الله لهم الطيبات وحرَّم عليهم الخبائث...

• وفي التشريع: جاء الإسلام وسطاً بين اليهود الذين حرَّموا على الله أن ينسخ ما يشاء ويمحو ما يشاء ويثبت، كما قالته اليهود، وقد حكى الله تعالى ذلك عنهم بقوله تعالى:

﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّهُمْ عَن قِبَلِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِمْ قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [سورة البقرة: ١٤٢].  
وبقوله سبحانه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا تُوْمِنُ بِمَا أَنزَلَ عَلَيْنَا وَيكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ، وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾ [سورة البقرة: ٩١].

وبين النصارى الذين أجازوا لأكابر علمائهم وعُبادهم أن يشرَّعوا بالتحليل والتحريم من دون الله، فيأمرُوا بما شاؤوا وينهوا عما شاؤوا، كما ذكر الله ذلك عنهم بقوله:

﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْكَبًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [سورة التوبة: ٣١].

قال عدي بن حاتم رضي الله عنه: إنَّا لسنا نعبدهم. فقال رسول الله ﷺ: «أليس يُحرِّمون ما أحلَّ الله فتحرمونه، ويحلّون

ما حَرَّمَ الله فتستحلُّونه؟ قال قلت: بلى. قال: «قتلك عبادتهم»<sup>(١)</sup>.

### ج- وفي مجال العمل بالأحكام الشرعية والسياسية:

ألمحتُ سابقاً إلى أنَّ حكمة الله تعالى اقتضت أن يكون هذا الإسلام هو الدين الذي رضيهِ الله لنا ديناً، وجعله منهجاً شاملاً كاملاً، نقف فيه على أربعة شعبٍ تكوّن بنيانه الشامخ المتميز: عقيدةً، وعبادةً، وأخلاقاً، وشريعةً، تتناول أمور الحياة كلها بالتنظيم الدقيق الذي يقوم على الحقّ والعدل والتوازن، ويجعل من التنوّع سبيلاً للوحدة، وسبباً للتعارف والتعاون بين أفراد الأسرة البشرية الواحدة، ويلبي جميع حاجاتها ومتطلباتها.

وفي سبيل تحقيق هذا الهدف جاءت الأحكام في الإسلام على نوعين:

---

(١) أخرجه الترمذي في تفسير سورة براءة: ٨ / ٤٩٢ - ٤٩٤، وقال: ((هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد السلام بن حرب، و غطفان بن أعين ليس بمعروف في الحديث))، والطبري في ((التفسير)): ٢١٠/١٤، والبيهقي: ١١٦/١٠، وابن أبي حاتم: ١٧٨٤/٦، والطبراني: ٩٢/١٧، وزاد السيوطي نسبته لابن سعد، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وأبي الشيخ، وابن مردويه.. انظر: ((الدر المنثور)): ٧: ٣٢٣، و((الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف)) لابن حجر، ص (٧٥)، و((جامع بيان العلم وفضله)) لابن عبد البر ص (٤٣٧).

(الأول): أحكام ومبادئ تفصيلية ثابتة، تحكمها النصوص الشرعية القطعية التي لا تتأثر بالزمان والمكان ولا تخضع للمتغيرات؛ لأنها تتصل بأمور ثابتة في الكيان الديني والبشري.

و(الثاني): أحكام اجتهادية مبنية على المصلحة والعرف الذي يتأثر بالمتغيرات ويخضع للمواءمات الزمنية، وهذه تحكمها الضوابط العامة والمقاصد الكلية في الشريعة الإسلامية، وهي مجال رحب للاجتهاد وتطبيق قواعد السياسة الشرعية.

والسياسة الشرعية اسمٌ للأحكام والتصرفات التي تُدبر بها شؤون الأمة في حكومتها وتشريعها وقضائها، وفي جميع سلطاتها التنفيذية والإدارية، وفي علاقاتها الخارجية التي تربطها بغيرها من الأمم في حالتي السلم والحرب<sup>(١)</sup>.

وقد تتباين المواقف من العمل بأحكام هذه السياسة، فيجئ بعضهم إلى الإفراط، ويميل آخرون إلى التفريط، والصواب والفضيلة هنا بين هذا وذاك.

---

(١) انظر: ((السياسة الشرعية والفقه الإسلامي)) عبد الرحمن تاج، ص ٧- ٨، و((السياسة الشرعية))، عبد الوهاب خلاف، ص ٥ فما بعدها، وراجع الاطلاقات الفقهية للسياسة في ((المبسوط)) للسرخسي: ٧٩/٩، و((حاشية ابن عابدين)): ١٤/٥ - ١٦، و((العناية على الهداية)) للباقرتي: ٤٢٢/٥ مطبوع مع ((فتح القدير)) للكمال ابن الهمام، و((معين الحكام)) لعلاء الدين الطرابلسي الحنفي، ص ١٦٩.

ومن الطريف أنَّ هذه المباحث التي قد يعدُّها بعض الباحثين أمراً جديداً، هي في الحقيقة وواقع الأمر مما تناوله علماؤنا بالبحث والتصويب منذ عصور قديمة، وحسبك ما كتبه العلامة ابن عقيل الحنبلي، و شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن قيم الجوزية، والقاضي برهان الدين ابن فرحون المالكي، وعلاء الدين الطرابلسي!

يقول ابن فرحون في بيان المواقف المختلفة من العمل بالسياسة والأخذ بها، وهو يرسم الطريق الأعدل في ذلك فيقول:

«والسياسة نوعان: سياسة ظالمة، فالشرع يحرمها، وسياسة عادلة تُخرج الحقَّ من الظالم وتدفع كثيراً من المظالم، وتردع أهل الفساد، ويتوصَّل بها إلى المقاصد الشرعية، فالشريعة تُوجب المصيرَ إليها والاعتمادَ في إظهار الحقِّ عليها، وهي باب واسع تضلُّ فيه الأفهام، وتزلُّ فيه الأقدام، وإهماله يضيِّع الحقوق، ويعطلُّ الحدود، ويجرِّي أهل الفساد، ويُعين أهل العناد، والتوسع فيه يفتح أبواب المظالم الشنيعة، ويوجب سفك الدماء وأخذ الأموال بغير الشريعة.

- وهذا سلكٌ فيه طائفةٌ مسلكَ التفريط المذموم، فقطعوا النظر عن هذا الباب إلا فيما قلَّ، ظناً منهم أنَّ تعاطي ذلك منافٍ

للقواعد الشرعية، فسُدُّوا من طرق الحق سبيلاً واضحة، وعدلوا إلى طريقٍ من العناد فاضحة، لأنَّ في إنكار السياسة الشرعية والنصوص الشريفة تغليطاً للخلفاء الراشدين!

- وطائفةٌ سلكت في هذا الباب مسلك الإفراط، فتعدَّوا حدود الله تعالى، وخرجوا عن قانون الشرع إلى أنواع من الظُّلم والبِدَع والسياسة، وتوهموا أنَّ الشريعة قاصرة عن سياسة الخلق ومصلحة الأمة، وهو جهل وغلط فاحش!

فقد قال -عزَّ من قائل-: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، فدخل في هذا جميعُ مصالح العباد الدينية والدنيوية على وجه الكمال.

وقال رسول الله ﷺ: «تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا: كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّتِي»<sup>(١)</sup>.

-وطائفةٌ توسَّطت، وسلكت فيه مسلك الحق، وجمعوا بين

---

(١) أخرجه مالك بلاغاً: ٨٩٨/٢، وأسنده البزار برقم (٨٩٩٣) عن أبي هريرة، والدارقطني: ٢٤٥/٤، والبيهقي: ١٩٥/١٠، وصححه الحاكم: ٩٣/١ عن ابن عباس في خطبة حجة الوداع، فقال الذهبي في ((تلخيصه)): «(وذكر السنة في هذه الخطبة غريب، ويحتاج إليها)»، ثم أخرج له شاهداً من حديث أبي هريرة، وسكت عنه الذهبي، ورواه ابن عبد البر في ((جامع بيان العلم))، ص ٥٤٧، وله طرق وألفاظ متقاربة. وانظر: ((سلسلة الأحاديث الصحيحة)) للألباني: ٣٥٦/٤ - ٣٦١.

السياسة والشرع، فقمعوا الباطل ودخضوه، ونصبوا الشرع ونصروه، والله يهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيم»<sup>(١)</sup>.

### د - والإسلام وسط بين الجمود والتطور.

فهو يجمع في أحكامه بين الثبات والمرونة في وقت واحد ويوازن بينهما فينفي عنه الجمود، كما ينتفي عنه التطور المتفلسف الذي يحيل الأحكام إلى أهواء متبدلة وموضات متغيرة.

• فالثبات في الأصول والقواعد: حيث تقوم أحكام النظام الإسلامي أساساً على الوحي (القرآن والسنة) الذي تكفل الله تعالى بحفظه، ولذلك فإن المجتهدين في استنباطهم للأحكام يتقيّدون بالنصوص الشرعية، ويطبّقون قواعد الشريعة في الاستنباط، وهذا يعطي هذه الأحكام صفة الثبات والاستقرار<sup>(٢)</sup>، حتى ولو تغيّر الحكم، أو اختلفت أنظمة الحكم، لأنّ الأحكام الشرعية لا ترتبط بالهيئة الحاكمة وإنما

---

(١) ((تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام)) لابن فرحون:

١٠٤/٢. وانظر: ((الطرق الحكمية)): ٢٩١/١ - ٣١، و((إعلام الموقعين)): ٣٧٢/٤ - ٣٧٩، و ((بدائع الفوائد)): ١٠٨٧/٣ - ١٠٩٣ لابن قيم الجوزية،

ففيها أصل هذا الكلام تعليقاً على كلام لابن عقيل في كتابه ((الفنون)).

(٢) الثبات في اللغة بمعنى دوام الشيء، وثبات الأحكام بمعنى: استقرارها واستمرارها ورسوخها،

وعدم تبديلها، لأنها باقية محكمة لا يلحقها بعد وفاة النبي ﷺ نسخ ولا تغيير. انظر: ((معجم

مقاييس اللغة)): ٣٩٩/١، و((الصّحاح)) للجوهري: ٢٤٥/١، و((لسان العرب)): ١٩/٢ - ٢٠،

و((مفردات القرآن)) للراغب الأصفهاني، ص(٧٨)، و ((الثبات والشمول في الشريعة

الإسلامية))، د. عابد محمد السفيناني، ص (١٠٩ - ١١٠).



ترتبط بالدين الإسلامي الذي لا يتغير ولا يتبدل.

وقد قامت الأدلة الشرعية على ذلك الثبات؛ فقال تعالى:

﴿لَا بُدَّيْلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ [سورة يونس، الآية: ٦].

وقال: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بُدَّيْلَ لِيَخْلُقَ اللَّهُ ذَلِكَ الَّذِي يُشِئُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الروم، الآية: ٣٠]. أي لا تبديل لدين الله. وهو خبر بمعنى النهي، أي: لا تبدلوا دين الله.

ونضرب بعض الأمثلة على هذا، الثبات في بعض المجالات التشريعية كالسياسة والعلاقات مع الآخرين، وهي تشير إلى مجالات أخرى كثيرة.

فمن ذلك: إقرار مبدأ الشورى، واحترام الكرامة الإنسانية في السلم والحرب، والحفاظ على حقوق غير المسلمين في دار الإسلام، والعدالة التي ينبغي أن تسعى لها الحكومة المسلمة وتلتزم بها في التعامل مع المسلمين وغير المسلمين، والوفاء بالعهود والمواثيق حتى مع الأعداء، وعدم الغدر حتى ولو غدروا هم بنا، والتمسك بالفضيلة والأخلاق في المعاملات، وقيام العلاقة بين المسلمين على العقيدة والإيمان، وأنه لا ولاء بين المسلمين والكفار، ووجوب إعداد القوة التي يحافظون بها على كيانهم ويُرهبون بها عدوهم.

آثار الثبات وفوائده: وهذا الثبات يؤدي إلى اطمئنان الأفراد وأمنهم من المفاجآت والتقلبات، ووضوح أسس العدالة والنظام للكافة. وهذا كله يؤدي إلى الثقة والازدهار، وينتج أفضل الظروف للتقدم الاجتماعي والاقتصادي وحسن العلاقات الدَّولِيَّة وسيادة الأخلاق والآداب والفضيلة، فتمتنع أسباب الصراع والاستغلال والغدر.

• وأما المرونة أو التطور المنضبط: فهي تكمل ذلك الثبات وتأتي للإنسان الحاجات، حيث إن ثبات الأحكام لا يعني جمود الفقه وعجزه عن مواجهة الوقائع الجديدة وتلبية حاجات الأمة هذه.

ومن مظاهر المرونة وعواملها: أنَّ في مصادر التشريع الإسلاميَّ خصوبةً وسعةً، كما أن أحكام المعاملات والعلاقات السياسية جاءت في القرآن الكريم بنصوص تدل على أحكام أساسية ومبادئ عامة، ليكون أولو الأمر في سعة من أن يفرَّعوا ويفصلوا حسبما يلائم حالهم وتقتضيه مصالحهم من غير أن يصطدموا بحكم تفصيلي شرعه القرآن، كما أن دلالة النصوص الشرعية ليست محصورة فيما يفهم من العبارة أو النص فحسب، بل فيما يفهم من روحها ومعناها، ومن هنا

كانت الدلالة دلالة منطوق ودلالة مفهوم<sup>(١)</sup>. كما أن النصوص التشريعية لم ترد بأحكام مجردة من عللها ومن المصالح التي شرعت من أجلها، بل جاءت مقترنة بالعلة صراحة أو إشارة مما فتح باب القياس أمام المجتهدين لتلبية الحاجات ومواجهة الوقائع والمستجدات.

ومن الأمثلة على هذه المرونة والتطور: شكل الحكومة الإسلامية، فلم تحصر الشريعة شكل الحكومة في قالب ضيق، وإنما فسحت له المجالات الصحيحة المتعددة، واكتفت بمبادئ عامة رحيبة تضبط هذا الشكل السريع التغير بطبيعته دون أن تحدّ من حركته الصحيحة، ولعله من أجل ذلك تعمد رسول الله ﷺ ألا يحدد خليفة له بعد وفاته عليه السلام.

وأيضاً: نجد الأمر نفسه في ((الشورى))، فهي واجب لا بد من إقامته، وإن كانت طريقته لم تحددها النصوص الشرعية، أو لم تقصرها على طريقة واحدة لا تتعدها، ليكون في ذلك سعة ومجال لاختيار أمثل الطرق لإقامة الشورى.

---

(١) دلالة اللفظ العربي على الحكم تنقسم في نظر المتكلمين من الأصوليين إلى قسمين أساسيين هما: دلالة المنطوق ودلالة المفهوم، فالأول هو دلالة اللفظ على حكم دُكرَ في الكلام ونُطِقَ به؛ مطابقة أو تضمناً أو التزاماً. والثاني - المفهوم - هو دلالة اللفظ على حكم لم يُذكر في الكلام ولم يُنطق به. انظر: ((تفسير النصوص في الفقه الإسلامي))، لأستاذي العلامة المحقق الدكتور محمد أديب صالح: ٥٩١/١ وما بعدها.

كما أن الاجتهاد يحدّد للدولة الإسلامية طريقة تعاملها مع الدول الأخرى من النواحي المالية والاجتماعية والسياسية في حال السلم والحرب ضمن القواعد الشرعية والأحكام الأساسية الثابتة.

ومن نافلة القول أن نوّكّد على أن هذه المرونة لا تعني -بأيّ حال من الأحوال- خروجاً على حكم شرعي ثابت، لأنها محكومة بضوابط دقيقة، حتى لا يؤدي التطوّر إلى التشويه والخروج على أحكام الله التي يحتاج إليها البشر، فإن المرونة والتطور يختلفان عن الهدم والانطلاق بلا حدود، الأمر الذي تتخذه بعض الاتجاهات المعاصرة في الحياة الاجتماعية والقانونية<sup>(١)</sup>.

ومن هنا يمكن أن نصوغ هذه الوسطيّة والخاصية للنظام الإسلامي بعبارة تجمع الثبات والمرونة في سياق واحد مع ضابط ذلك وميزانه، فنقول مع الأستاذ سيد قطب - رحمه الله -: إنها خاصية ((الحركة داخل إطار ثابت حول محور ثابت))<sup>(٢)</sup>.

---

(١) انظر: ((النظام السياسي والدستوري في الإسلام))، عثمان جمعة ضميرية، ص ٢٨٤ - ٢٨٧.

(٢) ((خصائص التصور الإسلامي))، ص (٨٥).

## هـ- وفي مجال السلوك والأخلاق:

جاءت شريعة الإسلام وسطاً بين الإفراط والتفريط في الإلزام الأخلاقي بين الجنوح إلى المثالية الخيالية والواقعية المتزمتة، فهي لا تترك الحياة كلها للمشاعر والضمائر ولا الترف والميوعة والهوى الذي يعصف بها في تيارات الخلاعة والمجون، وكلها ترفع الضمائر بالتهذيب والتوجيه وتعمرها بتقوى الله ومراقبته وسلوك محاسن الأخلاق تأسيساً بنبينا محمدٍ - صلى الله عليه وسلم - الذي مدحه الله تعالى بعظمة الخلق...

وفي الوقت الذي تناقضت فيه المذاهب الأخلاقية وتعرضت اتجاهاتها ومدارسها في تفسير نشأة الضمير وتكوين السلوك الخلقي، وغاية الأخلاق والدافع إليها، فتأرجحت واضطربت بين مذاهب شتى، وأفكار مختلفة غير متفقة:

فمن ذلك: مذاهب الفطرة التي يراد بها الاتجاه الذي يردّ قوانين الأخلاق وأحكام الضمير إلى المعرفة الأولى السابقة على التجربة.

وهذا المذهب يتناقض مع المذهب التجريبي الذي يُخضع نشأة الأخلاق إلى عملية التجربة، وأصحابه متأثرون في ذلك بالمذهب الفكري ونظريتهم في المعرفة - كما تقدّم في فقرة سابقة - . ويدخل في هذا كل المذاهب المادية عموماً.

وهذه المذاهب متناقضة متطرفة، فليست القوانين الخلقية فطرية فحسب، وإن كان العنصر الفطري موجوداً، وهو إحساس ودافعٌ كامن في الإنسان، كما أن هذه الفطرة ليست موضوعاً للإنكار - حيث ينكرها الماديون - لأننا نلاحظ أن نواة الضمير والإحساس الخلقي يظهر قبل أن يتمكن الإنسان من تقدير نتائج الأفعال، ولهذا فإن هذا المذهب المادي لا يفسّر لنا الشعور بالحياء الذي يعقب اقتراف الإثم!

والتناقض والتطرف في غاية الأخلاق، حيث يتنازعها مذهبان متطرفان:

أحدهما يعتبر أن الدنيا غاية في ذاتها، ومن هنا كانت الغاية عندهم هي اللذة ومجانبة الألم، فهي الخير الأقصى بنظرهم...

والمذهب الثاني يجعل الحياة الآخرة هي الغاية فحسب، و يجعل الدنيا كلها دنساً وإثماً، فيتعد عنها ما استطاع ويعيش منزوياً في المغارات و الجبال، ويلبس أخشن الثياب، ويأكل أقلّ المطعومات وأدناها، ويعتزل النساء، ويمتهن الجسد ويعذّبه بألوان العذاب كي تصفو الروح -بزعمه- فإن تعذيب الجسد سبيل لصفاء الروح!

وأما الإسلام؛ فكانت نظرتَه لتلك العناصر كلها نظرةً وسطيةً واعتدالاً؛ فالأخلاق فطرة فطر الله تعالى عليها الخلق، وجعلها مركوزة في نفس الإنسان. يقول الله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۖ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۗ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝١﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿[الشمس: ٧ - ١٠].

وهي تتحدّد بسنة الله تعالى التي أمر بها الإنسان، وفي هذا يقول ابن قيم الجوزية -رحمه الله-: ((لأخلاق حدٌّ متى جاوزته صارت عدواناً، ومتى قصرت عنه كانت نقصاً ومهانة، فللغضب حدٌّ، وهو الشجاعة المحمودَة والأنفة من الرذائل والنقائص، وهذا كماله، فإذا جاوز حدّه تعدّى صاحبه وجارٍ، وإن نقص عنه جُبِن ولم يأنف من الرذائل.

وللحرص حدٌّ، وهو الكفاية في أمور الدنيا وحصول البلاغ منها، فمتى نقص من ذلك كان مهانةً وإضاعة، ومتى زاد عليه كان شرّها ورغبةً فيما لا تُحمد الرغبة فيه.

وللحسد حدٌّ، وهو المنافسة في طلب الكمال والأنفة أن يتقدم عليه نظيره، فمتى تعدّى ذلك صار بغيّاً وظلماً يتمنى معه زوال النعمة عن المحسود ويحرص على إيذائه، ومتى نقص عن ذلك كان دناءةً وضعفَ همّةٍ وصغر نفس. قال النبي ﷺ: ((لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالا فسلّطه على هلكته في

الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها  
الناس))<sup>(١)</sup>، فهذا حسدٌ منافسةٌ يطالب الحاسدُ به نفسه أن  
يكون مثل المحسود، لا حسدَ مهانةٍ يتمنى به زوال النعمة عن  
المحسود.

وللشهوة حدٌ، وهو راحة القلب والعقل من كدِّ الطاعة،  
واكتسابُ الفضائل والاستعانةُ بقضائها على ذلك، فمتى  
زادت على ذلك صارت نهمة وشبقاً، والتحق صاحبها بدرجة  
الحيوانات، ومتى نقصت عنه، ولم يكن فراغاً في طلب الكمال  
والفضل كانت ضعفاً وعجزاً ومهانة.

وللراحة حدٌ، وهو إجمامُ النفس والقوى المدركة والفعالة  
للاستعداد للطاعة واكتساب الفضائل وتوفيرها على ذلك،  
بحيث لا يضعفها الكدُّ والتعب ويُضعِف أثرها، فمتى زاد على  
ذلك صار توانياً وكسلاً وإضاعةً، وفات به أكثر مصالح العبد،  
ومتى نقص عنه صار مضرّاً بالقوى، مُوهِناً لها، وربما انقطع به،  
كالمنبت الذي لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى.

والجُود له حدٌ بين طرفين، فمتى جاوز حدَّه صار إسرافاً  
وتبذيراً، ومتى نقص عنه كان بخلاً وتقتيراً.

---

(١) أخرجه البخاري في بدء الوحي برقم (٧٣)، ومسلم في باب من يقوم  
بالقرآن برقم (١٩٣٣).



وللشجاعة حدٌ متى جاوزته صارت تهوُّراً، ومتى نقصت عنه صارت جبناً وخوَّراً. وحدُّها: الإقدامُ في مواضع الإقدام، والإحجامُ في مواضع الإحجام...

والغيرةُ لها حدٌّ إذا جاوزته صارت تُهمةً وظناً سيئاً بالبريء، وإن قصرت عنه كانت تغافلاً ومبادئ دياثية. وللتواضع حدٌّ إذا جاوزه كان ذلاً ومهانةً، ومن قصر عنه انحرف إلى الكِبَر والفخر.

وللعزَّ حدٌّ إذا جاوزه كان كِبَرًا وخلُقًا مذمومًا، وإن قصر عنه انحرف إلى الذلِّ والمهانة.

وضابط هذا كله: العدل، وهو الأخذ بالوسط الموضوع بين طرفي الإفراط والتفريط. وعليه بناء مصالح الدنيا والآخرة، بل لا تقوم مصلحة البدن إلا به فإنه متى خرج بعض أخلاقه عن العدل وجاوزه، أو نقص عنه ذهب من صحته وقوته بحسب ذلك. وكذلك الأفعال الطبيعية؛ كالنوم والسهر والأكل والشرب والجماع والحركة والرياضة والخلوة والمخالطة وغير ذلك، إذا كانت وسطاً بين الطرفين المذمومين كانت عدلاً، وإن انحرفت إلى أحدهما كانت نقصاً، وأثمرت نقصاً، فمن أشرف العلوم وأنفعها علمُ الحدود، ولا سيما حدود المشروع والمأمور والمنهى. فأعلمُ الناس أعلمُهم بتلك

الحدود، حتى لا يُدخِل فيها ما ليس منها، ولا يُخرج منها ما هو داخل فيها. قال الله تعالى: ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٩٧]. فأعدل الناس مَنْ قام بحدود الأخلاق والأعمال والمشروعات معرفةً وفعلاً. وبالله التوفيق))<sup>(١)</sup>.

وهكذا في سائر العلاقات الفردية والاجتماعية.. والمصلحة الذاتية والجماعية...<sup>(٢)</sup>

### وأما في منهج النظر والاستدلال:

فإن الإسلام — وهو دين الله تعالى للبشرية الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه — قد رسم للإنسان منهجاً متكاملًا متوازنًا في المعرفة ومصدرها، يخاطب فيه جميع مكوناته، ويستثير كلَّ منافذ الحس والفكر والروح، لتتعاون كلها وتأخذ بيده، فتضعه على الجادة من طريق المعرفة واليقين.

(١) ((مدارج السالكين)) لابن القيم: ١٣٩/١ - ١٤٠.

(٢) انظر بالتفصيل: ((مستقبل الحضارة بين العلمانية والشيوعية والإسلام))،

يوسف كمال محمد، ص ١٩٩ وما بعد، و ((أخلاق الإسلام بين الفطرة والفكرة))، محمد عدنان السبيعي، ص ٨١ وما بعدها. واقرأ بحثاً دقيقاً مقارناً للعلامة محمد عبد الله دراز في كتابه ((دستور الأخلاق في القرآن)).

فالإسلام لم يهمل أو يغفل مصدراً واحداً من مصادر المعرفة كما أنه لم يبرز دوره على حساب سائر المصادر الأخرى ليلغيها أو يلغي واحداً منها وإن كان يعطي كلاً حقه ويحدد له المجال الذي يعمل فيه.

«والنظرية الإسلامية تؤمن بإمكان المعرفة وبصحة استخدام وسائلها في المجالات المشروعة لها وبالتالي بإمكانية اليقين»<sup>(١)</sup>.

وفي كيان الإنسان طاقتان فطريتان: الإيمان بما تدركه الحواس، والإيمان بما لا تدركه الحواس وكلتاهما طاقة إنسانية أصلية فالحيوان لا يؤمن بشيء من الأشياء ومع ذلك فالإيمان بما تدركه الحواس ليس هو مزية الإنسان والحيوان، أما القدرة على الإيمان بما لا تدركه الحواس فهو المزية الأساسية للكائن البشري والموهبة العظمى التي وهبها الله تعالى للإنسان<sup>(٢)</sup>.

فإذا كانت الحواسُ منافذ يتعرّف الإنسان بواسطتها على العالم المحسّ من حوله بالتجربة لكل ما يخضع للتجربة المادية؛ فإن العقل له دوره في الحكم على كل ما يستطيع أن

---

(١) انظر: ((الإسلام والعلم))، للأستاذ توفيق الطيب، ص(١٧) منشور بمجلة (حضارة الإسلام) بدمشق، عدد شوال ١٣٨٥هـ.

(٢) انظر: ((منهج التربية الإسلامية))، للأستاذ محمد قطب: ١/١٥٥.

يحكم عليه بحدود طاقته وبحكم محدوديته في الزمان  
والمكان والكيفية.

أما ما وراء ذلك من عالم الغيب، ومما لا يقع تحت  
الحواس، ويعجز العقل البشري رغم مكانته وقدرته عن  
تفسيره والوصول إلى حقيقته فإن الوحي هو الذي يحيط  
علماً بكل هذا.

ولذلك يقوم الإسلام والإيمان على أساس التصديق  
بالنبوة والوحي، وبهذا يستطيع من يهتدي بالعقل أن يفسّر  
هذا الوجود تفسيراً صحيحاً، وأن يصحّح نظره للكون  
والحياة والإنسان<sup>(١)</sup>.

ولذلك لم يهمل الفكر الإسلامي قيمة واحد من مصادر  
المعرفة وطرق العلم؛ فهو يؤكد عليها كلّها مجتمعة، ولكلّ  
منها مجاله، وإن كان الوحي هو الذي يحكم عليها كلّها  
ويعطي حكماً قاطعاً في كل ما يحكم عليه.

وحتى المنهج العلميّ التجريبيّ والاعتماد على الحسّ له  
مكانته في الفكر الإسلامي، وفي كتاب «التقريب في حدود

---

(١) انظر: ((خصائص التصور الإسلامي))، للأستاذ سيد قطب، ص (٥) و ما  
بعدها، و((التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان))، عثمان جمعة  
ضميرية، ص (١٦) وما بعدها.

المنطق» يؤكد ابنُ حزم الأندلسيُّ أن الحسَّ أصل من أصول العلم، ويبيِّن ابن تيميَّة في كتابه المسمَّى «نقض المنطق» أنَّ الاستقراء هو الطريقة الوحيدة الموصلة إلى اليقين.

وهكذا قام المنهج التجريبي القائل بأن الملاحظة والتجربة هما أساس العلم وأصله، لا التفكير النظريُّ المجرَّد<sup>(١)</sup>.

فالزعم بأن أوروبا هي التي استحدثت المنهج التجريبيَّ زعمٌ خاطئ، وقد اعترف بهذه الحقيقة أساطين العلماء والمؤرخين للحركة العلمية والمنهج العلمي.

ويقرُّ «بريفولت» في كتابه «بناء الإنسانية» أنَّ المنهج التجريبيَّ في البحث العلميَّ -الذي قامت على أساسه الحركة العلمية المعاصرة- لم يكن له أية جذور في أوروبا، وأن المسلمين هم الذين أنشؤوه، ومنهم تعلَّمته أوروبا. فيقول: «لقد كان العلم أهم ما جادت به الحضارة العربية (يقصد الإسلامية) على العالم الحديث، ولكنَّ ثماره كانت بطيئة النضج.. إن العبقرية التي ولَّدتها ثقافة العرب في إسبانيا لم تنهض في عنفوانها إلا بعد وقت طويل على اختفاء

---

(١) انظر: ((تجديد التفكير الديني في الإسلام))، تأليف محمد إقبال،

ترجمة عباس محمود، ص (١٤٨).

تلك الحضارة وراء سحب الظلام. ولم يكن العلم وحده هو الذي أعاد أوروبا إلى الحياة، بل إن مؤثراتٍ أخرى كثيرةً من مؤثرات الحضارة الإسلامية بعثت باكورة أشعتها إلى الحياة الأوربية، فعلى الرغم من أنه ليس ثمة ناحية واحدة من نواحي الازدهار الأوربي إلا ويمكن إرجاعها إلى مؤثرات الثقافة الإسلامية بصورة قاطعة، فإنَّ هذه المؤثرات توجد أَوْضَحَ ما تكون وأهمَّ ما تكون في نشأة الطاقة التي تكوّن ما للعالم الحديث من قوة متمايزة ثابتة، وفي المصدر القويّ لازدهاره، أي في العلوم الطبيعية وروح البحث العلمي»<sup>(١)</sup>.

و يقول المؤرخ الإنجليزي «ويلز»<sup>(٢)</sup> في كتابه «معالم تاريخ الإنسانية»<sup>(٣)</sup>: «ولو تمهياً لرجل ذي بصيرة نفّاذة أن ينظر إلى العالم في مفتح القرن السادس عشر فلعله كان يستنتج أنه لن تمضي إلا بضعة أجيال قليلة، لا يلبث العالم أجمع أن يصبح مغولياً وربما أصبح إسلامياً».

(١) ((تجديد التفكير الديني في الإسلام))، محمد إقبال، ص (١٤٩).

(٢) هيربرت ج ويلز: عالم ومؤرخ إنجليزي، يعتبر من مؤسسي الخيال العلمي، من كتبه ((موجز تاريخ العالم)). انظر: ((الموسوعة العربية الميسرة)): ٢/ ٨٩٠.

(٣) ((معالم تاريخ الإنسانية))، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد: ٩٦٦/٣.

ويمكن أن نذهب إلى أبعد من هذا، كما فعل مؤرخ العلم  
«جورج سارطون»<sup>(١)</sup> حيث قرر أن الثقافة الغربية إنما نمت  
وترعرعت لأنها كانت في رعاية العالم الإسلامي.<sup>(٢)</sup>

ولعلنا - على ضوء ما سبق - نستطيع أن نحدّد العلاقة بين  
الوحي والعقل، أو الصلة بينهما. وعلى هذا نفهم ما ورد عن  
تظاهر العقل والشرع، وعن التكامل بينهما كقولهم: «العقل لن  
يهتدي إلا بالشرع، والشرع لا يتبين إلا بالعقل. فالعقل كالأس  
والشرع كالبناء. ولن يغني أس ما لم يكن بناء، ولن يثبت بناء  
ما لم يكن أس.

وأيضاً: فالعقل كالبصر، والشرع كالشعاع، ولن يغني البصر ما  
لم يكن شعاع من خارج، ولن يغني الشعاع ما لم يكن بصر»<sup>(٣)</sup>.

---

(١) جورج سارطون (١٨٨٤ - ١٩٥٦) عالم أمريكي، من أكبر مؤرخي العلم  
في عصره، رحل إلى البلاد العربية ليدرس العربية ويطلع على مآثر العرب  
في العلم كما تتجلى في مخطوطاتهم الأصلية. أهم آثاره ((تاريخ العلم))  
وهو مطبوع بالعربية. انظر: ((موسوعة المورد)) ٢١٣/٨.

(٢) وألقى محاضرة مطولة حول ذلك في بيروت بعنوان (( الثقافة الغربية في  
رعاية الشرق الأوسط)) ونقلها إلى العربية الدكتور عمر فروخ، وطُبعت  
في دار العلم للملايين، ١٩٤٩م.

(٣) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «العقل شرط في معرفة العلوم  
وكمال الأعمال وصلاحها، وبه يكمل العلم والعمل، لكنه ليس -  
مستقلاً بذلك، لكنه غريزة في النفس وقوة فيها، بمنزلة قوة البصر التي  
في العين فإن اتصل به نور الإيمان والقرآن كان كنور العين إذا اتصل به  
نور الشمس». انظر: «مجموع الفتاوى» ٣/٣٣٨، ٣٣٩.

والعقل لا يهتدي إلى تفاصيل الشرعيات، والشرعُ: تارةً يأتي بتقرير ما استقرَّ عليه العقل، وتارةً بتنبه الغافل وإظهار الدليل، حتى يتنبه لحقائق المعرفة، وتارةً بتذكير العاقل حتى يتذكر ما فقد، وتارةً بالتعليم، وذلك في الشرعيات وتفصيل أحوال المعاد. فالشرع نظام الاعتقادات الصحيحة والأفعال المستقيمة، والدالُّ على مصالح الدنيا والآخرة. ومن عدل عنه فقد ضلَّ سواء السبيل»<sup>(١)</sup>.

وعندما يفقد الإنسان الميزان أو المعيار الدقيق السليم؛ فإنه يضرب في بيداء التيه والتخبط والتمزق النفسي، وهذا ما نراه واقعاً في قضية الصراع بين مصادر المعرفة في الفكر الأوروبي. يقول الدكتور محمد البهي، رحمه الله:

«مضت على التفكير الأوروبي - منذ القرن الرابع عشر - إلى الآن - مراحل شهدت فيها العقلية الأوروبية صراعاً فكرياً، واتجاهات عقلية مختلفة تدور حول «تبرير» مصدر من مصادر المعرفة التي عرفتها البشرية في تاريخها حتى الوقت الحاضر، وهي: الدين والعقل والحس أو الواقع.

---

(١) انظر: «تفصيل النشاطين وتحصيل السعادتين» للراغب الأصفهاني، ص (١٤٠ - ١٤٢) باختصار وهو بنصه في «معارج القدس في مدارج النفس» للغزالي، ص (٥٧ - ٥٩).



وفي كل مرحلة من هذه المراحل ينشأ سؤال عن قيمة أيِّ واحدٍ من هذه الثلاثة كمصدر للمعرفة المؤكدة أو اليقينية؟ ثم يكون الجواب على هذا السؤال إيجاباً أو سلباً. ومن السؤال وما يدور حوله من جدل وأخذٍ وردٍّ تتكوّن المذاهب الفلسفيّة التي تعبّر عن قيمة المصدر الذي وضع للاختبار والتقدير»<sup>(١)</sup>.

وبانتهاء القرن الثامن عشر- وظهور فجر القرن التاسع عشر الميلادي تميز الفكر الأوروبي بالاتجاه نحو التفكير الوضعي وسيادة الطبيعة على الدين والعقل معاً، فكانت الوضعيّة -كنظرية فلسفية في دائرة المعرفة- هي المذهب السائد في الفكر الأوروبي، لمعارضة الكنيسة الكاثوليكية في أوروبا ومعارفها الدينية، فما لا يقع تحت الحواس، ينبغي — بنظرهم — أن يكون خارجاً عن دائرة الإيمان، لأنه غير قابل للتفسير، ولا يخضع للتجربة الحسية؛ إذ يرى المذهب التجريبي الذي عُرف به الفيلسوف الاسكتلندي هيوم<sup>(٢)</sup> والذي نشأت

---

(١) ((الفكر الإسلامي الحديث و صلته بالاستعمار الغربي))، د. محمد البهي، ص (٢٤٩).

(٢) دافيد هيوم (١٧١١ - ١٧٧٢م) فيلسوف ومؤرخ اسكتلندي، عرف بمذهب الشك. له كتاب ((رسالة في الطبيعة البشرية)). انظر: ((الموسوعة العربية الميسرة)) ١٩٣٣/٢.

عنه الفلسفة الوضعية أن تحصيل الإنسان للحقائق الكونية ومعرفته بها لا يكون إلا بالتجربة الحسيّة وحدها.

و معنى ذلك: أن الحسّ المشاهد — لا غيره — هو مصدر المعرفة الحقيقية اليقينية؛ ففي العالم الحسي تكمن حقائق الأشياء، أما انتزاع المعرفة مما وراء الظواهر الطبيعية الحسيّة، والبحث عن العلة في هذا المجال، فأمرٌ يجب أن يُرفض، ولهذا تكون كل نظرية، أو كل فكرة عن وجودٍ له طابع الحقيقة واليقين — فيما وراء الحس — نظريةً أو فكرةً مستحيلة<sup>(١)</sup>.

ولذلك يرى «أوغست كونت»<sup>(٢)</sup> أن تعاليم الأديان يمكن تلخيصها في معتقدين: الله والخلود. ثم يستخلص فكرة واحدة شاملة هي «الإنسانية». فالإنسانية هي الفكرة الوضعية المتطورة لفكرتي: الله والخلود.

و يعتقد كونت أن الإنسانية إذا فُهِمَتْ على هذا النحو فإنها تكون هي نفسها الإله الذي ينشده الناس.

---

(١) ((الفكر الإسلامي الحديث))، مرجع سابق، ص (٢٣٣).

(٢) أوغست كونت (١٧٩٨ - ١٨٥٧) فيلسوف فرنسي، مؤسس الفلسفة الوضعية التي ترفض الميتافيزيقا وتعتمد على نتائج العلوم الطبيعية الحديثة، له ((محاضرات في الفلسفة الوضعية)). انظر: ((الموسوعة العربية الميسرة)) ٢/ ١٥١٧.

و بذلك يصل «كونت» إلى هدفه المراد: وهو إلغاء العقائد الدينية الغيبية وكل ما يتصل بها من أخلاق ونظم اجتماعية، واعتبارها أفكاراً وأوهاماً غير واقعية وغير نافعة، وإنما تعبر عن الصورة غير المكتملة للإنسانية في مرحلة دنيا من مراحل تطورها<sup>(١)</sup>.

ويذهب «ماكس مولر»<sup>(٢)</sup>، أيضاً، إلى أنه لا شيء يتحقق في عقيدة الإنسان ما لم يكن قد أتى من قبل عن طريق حواسه<sup>(٣)</sup>.

وإذن فقد سجن الإنسان — الأوروبي — نفسه بطريقة تحكمية في حدود حواسه الخمس منذ عهد النهضة<sup>(٤)</sup>.

---

(١) لمعرفة نظرية أوغست كونت وأضرابه بالتفصيل، وللدرد عليها انظر: ((العلمانية: نشأتها وتطورها))، د. سفر الحوالي، ص(٣٧٧ - ٣٨٠) و((الفكر الإسلامي للدكتور محمد البهي))، ص(٢٣٣ - ٢٣٧) و((الدين: بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان)) للدكتور محمد عبد الله دراز، ص(٨٤ - ٨٦).

(٢) ماكس مولر (١٨٢٢ - ١٩٠٠) عالم لغوي ومستشرق ألماني، رحل إلى أكسفورد وأقام بها حتى وفاته، له ((علم اللغة)) ونشر عدداً من الكتب الدينية غير المسيحية. انظر: ((الموسوعة العربية الميسرة)): ١٧٨٧/٢.

(٣) ((نشأة الدين))، د. علي سامي النشار، ص(٧٠ - ٧١).

(٤) ((تأملات في سلوك الإنسان))، د. إلكسيس كاريل، ص(١٦٢).

أما الإسلام فقد وازنَ بين مصادر المعرفة، وهي الوحي والعقل والحسّ، ولم يسمح بالصراع بين هذه المصادر، ولم يكن إعلاء شأن أحدها سبباً لإهمال الأخرى، فلكلّ مجاله ودوره وخصائصه، بخلاف ما وقع من صراع بينها في الكنيسة الأوروبية، وفي المذاهب المادية الوضعية، فإن الاعتراف بمصدر عندهم معناه إلغاء المصادر الأخرى.. وكذلك جاء الإسلام وسطاً يوازن بين أمور الغيب وأمور عالم الشهادة... وسائر الأمور المتقابلة<sup>(١)</sup>.

### ز- الوسطية والاقتصاد في أعمال الخير:

وهذه الوسطية، لم تكن بمنأى عن اهتمام علمائنا - رحمهم الله - فقد أولوها جُلّ عنايتهم في مباحث كثيرة، وحسبنا هنا مقتطفاتٌ من كلام سلطان العلماء العزّ بن عبد السلام - رحمه الله - حيث عقد لها فصلاً في كتابه «القواعد الكبرى» بعنوان «فصل في الاقتصاد في المصالح والخير»، قال فيه:

«الاقتصاد رتبة بين رتبتين، ومنزلة بين منزلتين. والمنازل ثلاثة: التقصير في جلب المصالح، والإسراف في جلبها، والاقتصاد بينهما. قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء، ٢٩].

---

(١) راجع: ((الخصائص)) لسيد قطب، ص ١٣٦ وما بعدها.

وقال حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ رضي الله عنه: «الحسنة بين السيئتين»<sup>(١)</sup> ومعناه: أن التقصير سيئة، والإسراف سيئة، والحسنة ما توسط بين الإسراف والتقصير.

وخير الأمور أوساطها، فلا يكلف الإنسان نفسه من الطاعات إلا ما يطيق مداومة عليه، ولا يؤدي إلى الملالة والسآمة، ومن تكلف من العبادة ما لا يطيقه فقد تسبب إلى تبغيض عبادة الله إليه، ومن قصر عما يطيقه فقد ضيع حظه مما ندبه الله إليه وحثه عليه... وقد نهى رسول الله ﷺ عن التنطع في الدين، وقال: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ»<sup>(٢)</sup>.

ثم قال: «وللاقتصاد أمثلة: منها الاقتصاد في استعمال مياه الطهارات، فلا يستعمل من الماء إلا قدر الإسباغ ولا ينقص منه. ومنها: الاقتصاد في المواعظ، فإذا كثرت المواعظ لم تؤثر في القلوب فتسقط بإكثارها فائدة الوعظ.

ومنها: الاقتصاد في قيام الليل،

والاقتصاد في العقوبات والحدود والتعزيرات، فيعاقب كل واحد من الجناة على حسب قوته وضعفه وكذلك الاقتصاد في الضرب...

---

(١) تقدم تخريج الأثر عن مطرّف، ص (٥)، ((خير الأمور...))، ولم أجده عن حذيفة رضي الله عنه.

(٢) تقدم تخريجه من رواية مسلم.

ومنها: الاقتصاد في الدعاء؛ لأن الغالب على أدعية رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الاختصار، فكان يدعو دعوات مختصرات جامعات.

ومنها: الجهر بالكلام، لا يخافت بحيث لا يسمعه حاضره، ولا يرفعه فوق حد أسماعهم؛ لأنه فضول لا حاجة إليه.

ومنها: الأكل والشرب، لا يتجاوز فيها حدّ الشبع والرّي، ولا يقتصر فيها على ما يضعفه ويضنيه.

ومنها: زيارة الإخوان، لا يكثر منها بحيث يملونه ويستثقلونه، ولا يقلل منها بحيث يشتاقونه ويعتبونونه.

ومنها: دراسة العلوم، لا يكثر منها بحيث يؤدي إلى السّامة والكرهة، ولا يقللها بحيث يعد مقصراً فيها، وكذلك المزاح والضحك واللعب، وكذلك المدح المباح...

وعلى الجملة: فالأولى بالمرء أن لا يأتي من أقواله وأعماله إلا بما فيه جلب مصلحة أو درء مفسدة، مع الاقتصاد المتوسط بين الغلو والتقصير»<sup>(١)</sup>.

---

(١) ((القواعد الكبرى))، للعز بن عبد السلام: ٣٤٠/٢ وما بعدها.

### ثالثاً- الوسطية معيار للتكاليف الشرعية:

ثم كان للإمام أبي إسحاق الشَّاطِبيّ - رحمه الله - نظرٌ دقيق نافذٌ، أبان فيه أنَّ الشريعة جارية في التكليف بمقتضاها على الطريق الوسط الأعدل، الآخذ من الطرفين بقسطٍ لا مَيْل فيه، الداخِل تحت كسب العبد من غير مشقَّة عليه و لا انحلال، بل هو تكليف جارٍ على موازنة تقتضي في جميع المكلفين غاية الاعتدال، كتكاليف الصلاة، والصيام، والحج، والجهاد، والزكاة، وغير ذلك مما شُرِع ابتداءً على غير سببٍ ظاهر اقتضى ذلك، أو شُرِع لسببٍ يرجع إلى عدم العلم بطريق العمل؛ كقوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ (سورة البقرة)، وأشباه ذلك.

فإن كان التشريع لأجل انحراف المكلف، أو وجود مظنة انحراف عن الوسط إلى أحد الطرفين، كان التشريع راداً إلى الوسط الأعدل؛ لكن على وجه يميل فيه إلى الجانب الآخر ليحصل الاعتدال فيه، فعَلَّ الطبيب الرفيق، يحمل المريض على ما فيه صلاحه بحسب حاله و عادته، وقوة مرضه و ضعفه؛ حتى إذا استقلت صحته هيأ طريقاً في التدبير وسطاً لا ثِقَابَه في جميع أحواله... فإذا نظرت في كِلية شرعية فتأمَّلها تجدُها حاملةً على التوسط. فإن رأيت ميلاً إلى جهة طرف من الأطراف، فذلك في مقابلة واقعٍ أو متوقَّع في الطرف الآخر.

فطرف التشديد - وعامة ما يكون في التخويف  
والترهيب و الزجر - يُؤتى به في مقابلة من غلب عليه  
الانحلال في الدين.

و طرف التخفيف - وعامة ما يكون في التَّرجية و الترغيب  
و الترخيص - يُؤتى به في مقابلة من غلب عليه الحرج في  
التشديد - فإذا لم يكن هذا ولا ذاك رأيت التوسط لائحاً،  
ومسلك الاعتدال واضحاً. وهو الأصل الذي يُرجع إليه،  
والمعقل الذي يُلجأ إليه.

وعلى هذا، إذا رأيت في النقل من المعتبرين في الدين مَنْ مال  
عن التوسط فاعلم أن ذلك مراعاة منه لطرفٍ واقع أو متوقَّعٍ  
في الجهة الأخرى؛ وعليه يجري النظر في الورع والزهد،  
وأشباهها، وما قابلها<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

---

(١) ((الموافقات في أصول الشريعة)) للشاطبي ١٦٣/٢، ١٦٨، باختصار.



## المبحث الثالث الشريعة معيار الوسطية

### أولاً- معايير موهومة:

يستطيع العقل البشري أن يدرك أموراً كثيرة من عالم الشهادة والمادة، ولكنه يقف عاجزاً أمام جوانب خارجة عن طاقته ومجال عمله، ولهذا يكون من الصعوبة بمكان أن نعهد إليه مهمة تحديد الوسطية ووضع معيار لها، أو أن يكون هو معياراً لها.

و لذلك وجدنا كبار المشتغلين بالفلسفة يصرّحون بذلك؛ فيقول حجة الإسلام أبو حامد الغزالي: إن معرفته «من أعقد الأمور وأعصاها»، ويقول أرسطو: «إن إدراك الوسط في كل شيء أمرٌ صعبٌ جداً»<sup>(١)</sup>.

ولهذا فإن معرفة الوسطية والتوسط لا تخضع للأهواء أو التقديرات الذاتية وإنما تُعرف بالشرع، وقد تُعرف بالعوائد وما يشهد به معظم العقلاء.

---

(١) انظر هذه النصوص في ((الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة)) د.

عبدالرحمن اللويحق، ص ٣١

## ثانياً- المعيار الدقيق:

وإذا كنا قد ألمحنا إلى معاني الوسطية ووجوه استعمالها، فإن ذلك يشير أن الوسطية هي: كون الإنسان في دائرة المشروع: الخير والعدل، فإذا وقف المرء دون هذه الدائرة ولم يعمل فيها كان مقصراً مفرطاً، وإذا تجاوزها كان مُفْرِطاً مغالياً متطرفاً إلى الجهة الأخرى المذمومة.

فليس معنى الوسطية - إذن - أن يكون الإنسان دائماً في نقطة الوسط المادي بين جهتين أو صفتين، فقد يتعدى هذه النقطة ويتجاوزها ليصل إلى ما هو أعلى منها، دون أن يخرج به ذلك عن دائرة الوسطية.

وليس هناك ما يمنع شرعاً من تجاوز العدل إلى الفضل، بل هناك ما يحمل أصحاب النفوس العالية والهَمَمِ القوية على الارتقاء دائماً والسمو والتطلع نحو الآفاق العالية الكبيرة التي لا يستطيعها المهازيل أو ضعاف النفوس، ويحملهم أيضاً على الاستكثار من الأعمال الصالحة والتمسك بأحكام الكتاب والسنة.

### ثالثاً- هذه الأمة أصناف ثلاثة:

وقد جعل الله تعالى هذه الأمة التي ورثت الكتاب والوحي ثلاثة أصناف:

(الأول): ظالمٌ لنفسه. وهو الذي يطيع الله تعالى، ولكنه يقصّر في العمل بالكتاب وفي فعل بعض الواجبات، ويسرف على نفسه بارتكاب بعض المحرمات وإن كان قائماً بما أوجب الله عليه، وتُربي سيئاته في العمل على حسناته.

ووجه كونه ظالمًا لنفسه في هذه الحال: أنه فوت عليها الثواب، ونقصها منه بما فعل من الصغائر؛ فإنه لو عمل مكان تلك الصغائر طاعاتٍ؛ لكان لنفسه فيها من الثواب حظاً عظيماً. ويصدق هذا الظلم للنفس على من يظلم غيره أيضاً، وذلك لأنه يعرض نفسه للعقاب الذي يترتب على ظلم الآخرين.

(الثاني): مقتصدٌ في فعل الخيرات. وهو الذي يطيع الله تعالى ولا يعصيه، فيؤدي الواجبات ويترك المحرمات، ولكنه لا يتقرب إلى الله تعالى بالنوافل من الطاعات، ويترك بعض المستحبات، ويفعل بعض المكروهات، فهو يتردد بين العمل ومخالفته، فيعمل تارة ويخالف أخرى، دون أن يصيب كبيرةً من الكبائر، وهو بهذا وسط بين السابق والمقصر، تتعادل سيئاته وحسناته.

(الثالث): سابقٌ بالخيرات بإذن الله. وهو الذي كثر عمله بكتاب الله، وزادت حسناته على سيئاته، ويقوم بالواجبات، ويتقرب إلى الله بالنوافل والمستحبات، ويحْتَنِبُ المحرمات والمكروهات وبعض المباحات، فيتقدم إلى ثواب الله وجنته بالأعمال الصالحة، ويسبق بها الصنفين السابقين، في الدرجات بسبب الخيرات وإحراز الفضل بسببها.

وهذه الرتبة التي يصل إليها هذا القسم من الأمة المسلمة، عزيزة المنال، صعبة المآخذ، لا ينالها إلا من كان ذا همّة عالية تتوق إلى ما عند الله تعالى من الجنة والرضوان، ومن كان له رسالة سامية في هذه الحياة فهو يسعى للقيام بها<sup>(١)</sup>.

وهذه الأصناف الثلاثة هي التي جاءت في الآية الكريمة من سورة فاطر، في سياق الحديث عن الكتاب المنزل وما فيه من الحق، وتوريث الكتاب لهذه الأمة المسلمة، ودرجات الوارثين.

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [سورة فاطر، ٣٢].

(١) انظر: ((تفسير ابن كثير)) ٦ / ٥٣٢، و((روح المعاني)) للآلوسي: ٩٥/٢٢،

و((أضواء البيان)) للشنقيطي: ١٦٤/٦.

## رابعاً- نقد نظرية الفضيلة في الفلسفة اليونانية:

وهذا الذي تقدّم يشير إلى أن نظرية أن الفضيلة وسط بين رذيلتين، ليست دائماً في محلّ الاعتبار والتسليم.

وفي هذا يقول الأستاذ علّال الفايّي -رحمه الله-: واعتبار الخلق أو الفضيلة وسطاً بين طرفي الإفراط والتفريط، ليس قاعدة إسلامية مسلّمة، وإنما هي نوع من التحليل اليوناني لفلسفة الأخلاق، اقتبسه بعض الأخلاقيين الإسلاميين، لأنه أقرب إلى ما يوضح فكرة الآداب العامة عند المسلمين.

وليس في الإسلام ما يجعل التجاوز والسّموّ في الخلق مذموماً؛ فالمؤمنون درجات، كلّ يعمل على أن يرتقي في معارج السالكين إلى أن يصل إلى أعلى درجات اليقين والمحبة، وهم يقولون: إن الولاية لله لا تُحَدُّ مراتبها؛ وكلّ يعمل للوصول إلى أسمى منازلها دون أن ينال ذلك.. والكمال لا نهاية له، وهل يعقل أن يقال لمن أنفق جميع ماله في سبيل الله: إنه مبذّر، أو إنه ارتكب مذموماً؟

أرأيت أبا بكر الصديق - رضي الله عنه - وقد جاء بكلّ ماله ووضعه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم نفقةً في سبيل الله، فدعا له النبيّ صلى الله عليه وسلم وقال: «بارك الله لك في

أهلك ومالك»<sup>(١)</sup>؟ فهل كان بذلك مسرفاً متجاوزاً للحدِّ في الإنفاق؟ وإنما يقال ذلك في مجال الإنفاق الشخصي.. أما في مجال الخير والتسابق فإنه لا إسراف فيه ولا تبذير، بينما لو أنفق درهماً واحداً في وجه غير مشروع لكان ذلك تبذيراً مذموماً منهيّاً عنه في الشرع ...

وكذلك خُلِقَ الشجاعة.. أليست هي بذل النفس في سبيل الخير، أو الإقدام والجرأة؟ فهل يقال إن الشجاعة جزء من الجبن أو التهور حتى تكون وسطاً أو طرفاً؟ وقد علمنا أن «الوسط» هو بعض ما يضاف إليه؛ فإن وسط الدار جزء منها - كما تقدم - فلو كانت الشجاعة وسطاً بين الجبن والتهور لكانت جزءاً من الجبن والتهور!<sup>(٢)</sup>.

وفي هذا المعنى يقول الأستاذ عباس محمود العقّاد:

---

(١) عن عمر بن الخطّاب - رضي الله عنه - قال: ((أمرنا رسول الله أن نتصدق ووافق ذلك مالاً عندي، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر، إن سبقته يوماً. قال: فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله ﷺ: ما أبقيت لأهلك؟ فقلت: مثله. وأتى أبو بكر بكل ما عنده، فقال: يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك؟ فقال: أبقيت لهم الله ورسوله! قلت: لا أسبقه إلى شيء أبداً)) أخرجه الدارمي في ((السنن)): ٣٩١/١ - ٣٩٢، و أبو داود: ٣١٢/٢، والترمذي: ٦١٤/٥ - ٦١٥ وقال: ((حديث حسن صحيح)). وصححه الحاكم في ((المستدرک)): ٤١٤/١ على شرط مسلم، و وافقه الذهبي.

(٢) ((مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها))، للأستاذ علال الفاسي، ص (٤٥ - ٤٦) بتصرف.

«ومذهب الفلسفة اليونانية ينتهي بنا إلى مقياس للأخلاق شبيه بمقاييس الهندسة والحساب؛ بعيدٍ عن تقدير العوامل النفسية والقيم الروحية؛ في الأخلاق العليا على التخصيص؛ وقد تصدّق هذه الفلسفة إذا كان المطلوب من الإنسان أن يختار بين رذيلتين محقّقتين؛ فإنه في هذه الحالة يحسن الاختيار بين طرفين متقابلين كلاهما مذموم ومتروك؛ إلا أننا لا نقول - مع ذلك - إنّ الكرم نقصٌ في رذيلة البخل أو نقصٌ في رذيلة السرف؛ ولا نقول - مع ذلك - إنّ الكرم إذا زاد أصبح سرفاً؛ وأن السرف إذا نقص أصبح كرمًا، بل تكون الزيادة في الكرم كرمًا كبيراً، والنقص في السرف سرفاً قليلاً، ولا يكون الكرم أبداً درجةً من درجات السرف؛ ولا البخل درجةً من درجات الكرم؛ بل هي أخلاق متباينة في القيمة، يتقارب الطرفان فيها أحدهما من الآخر؛ ولا يتقارب الطرف من الوسط كما يظهر من قياس الهندسة أو قياس الحساب. وقد رأينا في مباحث العلل النفسية التي كشفها العلم الحديث أن الشذوذ يقرب بين المسرفين والبخلاء في أعراض متشابهة.. الخ. إلى أن يقول:

ولن يشذّ الإنسان عن الاعتدال في الطبع إذا هو آثر أن يذهب في كل فضيلة إلى نهايتها القصوى، فماذا يُعاب في جمال الوجوه مثلاً، إذا انتهى إلى مثل تلك الغاية في معهود البصائر؟

إنَّ كلمة من كلمات اللغة العربية العامرة بمدلولاتها النفسية والفكرية لتُهدينا إلى قسطاس الحمد في كلِّ حسنة مأثورة بكلمة (ناهيك)، حين نقول: ناهيك من رجل، أو ناهيك من عملٍ، أو ناهيك من خلُق! هو قسطاس الثناء فيما تنشده النفوس الإنسانية من كل فضل منشود<sup>(١)</sup>.



---

(١) ((حقائق الإسلام وأباطيل خصومه))، للأستاذ عباس محمود العقاد؛ ص



## المبحث الرابع

### مسؤولية الأمة المسلمة ودورها

تتعدد مظاهر الوسطية التي قضت إرادة الله تعالى أن تجعلها سِمةً لا زمة لهذه الأمة، وعليها تترتب المسؤولية والرسالة التي تحملها في هداية البشرية وسعادتها و خيرها، وتحقيق مصالحها وكرّء مفسدها.

#### أولاً- الأمة الوسط في ظلال القرآن:

و في ظلال الآية الكريمة التي جعلناها مدار البحث، نقف أمام إichاءات ومعان كبيرة: إنها الأمة الوسط بكل معاني الوسط، سواء من الوساطة بمعنى الحسن والفضل، أو من الوسط بمعنى الاعتدال والقصد، أو من الوسط بمعناه المادي الحسي..

«أمة وسطاً».. في التصور والاعتقاد.. لا تغلو في التجرد الروحي ولا في الارتكاس المادي. إنما تتبع الفطرة المثلثة في روح متلبّس بجسد، أو جسد تتلبس به روح، وتعطي لهذا الكيان المزدوج الطاقات حقّه المتكامل من كل زاد، وتعمل لترقية الحياة ورفعها في الوقت الذي تعمل فيه على حفظ الحياة وامتدادها، وتطلق كل نشاط في عالم الأشواق وعالم النوازع،

بلا تفريط ولا إفراط، في قصد وتناسق واعتدال.

«أمة وسطاً».. في التفكير والشعور.. لا تجمد على ما عملت وتغلق منافذ التجربة والمعرفة... ولا تتبع كذلك كل ناعق، وتقلد تقليد القردة المضحك.. إنها تستمسك بما لديها من تصورات ومناهج وأصول، ثم تنظر في كل نتاج للفكر والتجريب؛ وشعارها الدائم: الحقيقة ضالة المؤمن أنى وجدها أخذها، في تثبت ويقين.

«أمة وسطاً».. في التنظيم والتنسيق.. لا تدع الحياة كلها للمشاعر، والضماير، ولا تدعها كذلك للتشريع والتأديب. إنما ترفع ضماير البشر بالتوجيه والتهذيب، وتكفل نظام المجتمع بالتشريع والتأديب؛ وتزواج بين هذه وتلك، فلا تكل الناس إلى سوط السلطان، ولا تكلهم كذلك إلى وحي الوجدان.. ولكن مزاج من هذا وذاك..

«أمة وسطاً».. في الارتباطات والعلاقات.. لا تلغي شخصية الفرد ومقوماته، ولا تلاشي شخصيته في شخصية الجماعة أو الدولة؛ ولا تطلقه كذلك فرداً أثراً جشعاً لا همَّ له إلا ذاته.. إنها تُطلق من الدوافع ثم تضع من الكوابح ما يقف دون الغلو، ومن المنشطات ما يثير رغبة الفرد في خدمة

الجماعة؛ وتقرر من التكاليف والواجبات ما يجعل الفرد خادماً للجماعة، والجماعة كافلة للفرد في تناسق واتساق.

«أمة وسطاً».. في المكان.. في سرّة الأرض، وفي أوسط بقاعها. وما تزال هذه الأمة التي غمر أرضها الإسلام إلى هذه اللحظة هي الأمة التي تتوسط أقطار الأرض بين شرق وغرب، وجنوب وشمال، وما تزال بموقعها هذا تشهد الناس جميعاً، وتشهد على الناس جميعاً؛ وتعطي ما عندها لأهل الأرض قاطبة؛ وعن طريقها تعبّر ثمار الطبيعة وثمار الروح والفكر من هنا إلى هناك؛ وتتحكم في هذه الحركة ماديها ومعنويها على السواء.

«أمة وسطاً».. في الزمان.. تنهي عهد طفولة البشرية من قبلها؛ وتحرس عهد الرشد العقلي من بعدها. وتقف في الوسط تنفض عن البشرية ما علق بها من أوهام وخرافات من عهد طفولتها؛ وتصدّها عن الفتنة بالعقل والهوى؛ وتزواج بين تراثها الروحي من عهود الرسالات، ورصيدها العقلي في النّماء؛ وتسير بها على الصراط السوي بين هذا وذاك»<sup>(١)</sup>.

---

(١) انظر: ((في ظلال القرآن)) ١/١٣١ - ١٣٢، و((صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم)) عبد الرحمن الدوسري: ٢/٣٩٠ - ٣٩٢.

## ثانياً- وظيفة الأمة الوسط ودورها:

وهذه «الوسطية» للأمة المسلمة هي التي حددت وظيفتها الضخمة في هذه الأرض، ودورها الأساسي في حياة الناس؛ فهي تشهد على الناس جميعاً، فتقيم بينهم العدل والقسط، وتضع لهم الموازين والقيَم، وتُبدي فيهم رأيها فيكون هو الرأي المعتمد، وتَزِن قِيَمَهُم وتصوراتهم وتقاليدهم وشعاراتهم فتفصل في أمرها، وتقول: هذا حق وهذا باطل..

وهي لا تقوم بهذه الوظيفة إلا إذا كانت حاضرة شاهدة؛ فإن الشهادة تدل على حضور وعلم وإعلام أو إخبار، وبهذه الشهادة تُقام الحقوق وتُصان العدالة، وتُحفظ الكرامة للإنسان، وتُبنى الحضارة الإنسانية التي تتطلع إليها الأجيال المعاصرة، بعد أن أنهكها الصراع، وتقاذفتها الأنظمة والأهواء البشرية، ومزقت كيائها النفسي في رحلة الضياع التي تقلبت فيها بين طغيان الكنيسة الأوربية ورجاها إلى عقلية أوربية مثالية، إلى حسية وضعية ومنفعة مادية..

وعندئذ شقيت البشرية بما عرفت من استعمار وأطماع، وبما وصلت إليه من سقوط أخلاقي تجده ظاهراً في تفاهات الجنس والعري والمخدّرات وانتشار كل أنواع الجرائم والموبقات التي نجد عليها كثيراً من الشواهد والأمثلة والوقائع الملموسة...

### ثالثاً- دور المسلم ورسالته:

و يرصد المفكر المسلم مالك بن نبي - رحمه الله - الأزمة الخطيرة التي يعيشها العالم المتحضر اليوم، وقد فشل في عملية تعويض حينما فقد المجتمع مبرراته؛ فحينما تفقد حياة مَّا، أو مجتمع مَّا مبرراته لا بدَّ أن يقوم بعمليات تعويض: يستبدل مبررات قديمة أو تقادمت أو فقدت تأثيرها في الحياة الاجتماعية كدوافع قوية للحياة الفكرية والعلمية والعسكرية والاقتصادية، يعوّضها بمبررات جديدة. فإذا لم تأتِ عملية التعويض - كما ينتظر منها - بالمبررات الجديدة؛ تحدث الأزمة الخطيرة التي يعيشها العالم المتحضر اليوم.

فالعالم المتحضر اليوم يبدو أنه قد فشل في عملية التعويض، سواء من الجانب الأدبي، كمحاولة الوجودية مثلاً، أو من الجانب السياسي، كمحاولة الرجوع لأصله الأوربي، بحثاً عن منطلقات جديدة لأفكاره ونشاطاته الاقتصادية، فكأنها تقطّعت أنفاسه، ولم تعد في متداوله تلك الأشياء المتينة التي كان يركز عليها في القرن التاسع عشر الميلادي وبداية القرن العشرين.

وعندها فإنَّ من الطبيعي أن من لا يجد سنداً في مسيرته التاريخية أن يقع في حيرة وتيه وقلق. وهذا ما يفسّر لنا ما نراه

اليوم من حيرة قائمة فعلاً في العقول و النفوس والأرواح. فإذا  
اجتمعت هذه الأشياء فعلاً في نفس بشرية؛ فعندها يمكن أن  
نتصور ما تولّده من دوافع سلبية.

فإذا فقد مجتمع مآمبرراته ولم يستطع تعويضها بالطرق  
المشروعة في محاولات مبذولة، عندها يعتريه القلق، ويعتريه  
التيه، وتعتريه الحيرة..

و يترتب على هذا: ما نراه في أوربة وأمريكا اليوم؛ أن نجد  
البلد الذي حقّق الضمانات الاجتماعية إلى أقصى حدٍّ، مثل  
السويد، يتميز بشيء خطير، وهو أنه يتصدّر القائمة في  
(إحصائية الانتحار العالمية). وهذا يعني: أن البطون إذا  
امتلاّت لا تغني عن النفوس ولا تُشبعها، وإذا شبت البطون  
قد تبقى الأرواح متعطشة، وتبقى الأرواح متطلعة، وحين لا  
تجد وجهة تتطلع إليها: تفضّل هذه الاستقالة من الحياة...»<sup>(١)</sup>.

ويقول: «إن أوربا حققت المعجزات في عالم الاكتشافات  
وعالم العلوم... ولكنها فقدت في أعماق نفسها البعد الذي كان  
يروح عليها ويرفه عنها ويسندها في وقت المحن لأنه يربطها  
بوجود الله.

---

(١) ((دور المسلم و رسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين))، ص ٢٠-

٢٢ باختصار.

وإذا أراد المسلم أن يسدَّ هذا الفراغ في النفوس المتعطشة، النفوس المنتظرة للمبررات الجديدة... فيجب أولاً أن يرفع مستواه إلى مستوى الحضارة أو أعلى منها كي يرفع الحضارة بذلك إلى قداسة الوجود التي أتلقتها حضارة القرن العشرين في النفوس وفي الثقافة وفي الضمائر، لأنها اعتبرت شيئاً تافهاً لا حاجة لنا به.

ورسالة المسلم أمام حالة الإنقاذ هذه هي إنقاذ نفسه وإنقاذ الآخرين.

وهذا يقتضي أمرين: الاقتناع والإقناع. فلا يمكن للمسلم الذي لم يقتنع بأن له رسالة، أن يبلغ الآخرين هذه الرسالة أو فحواها أو مفعولها.

وإذا كان منهج الرسالة يقتضي التغيير، فإن هذا لا يتحقق إلا بشروط ثلاثة: أن يعرف نفسه بالتدقيق من دون مغالطة، وأن يعرف نفوس الآخرين من دون كبرياء وتعالٍ، وأن يعرف الآخرين بنفسه، ولكن بالصورة المحببة<sup>(١)</sup>.

وهذا هو الذي يجعل المفكر الكبير يعيد النظر في موقف المسلم في الثلث الأخير من القرن العشرين (وقت إلقائه هذه

---

(١) المصدر نفسه، مقتطفات من ص ٣٩ - ٥٥.

المحاضرة)؛ إذ الآن يبدأ دور المسلم أمام هذه الظاهرة حتى  
لكأنها أراد الله -عزَّ وجلَّ- تأجيل دور المسلم في هذا القرن  
حتى تنتهي كل تجارب الآخرين بالفشل ويستطيع إصلاح  
أخطائهم، أو حتى تصل تجاربه إلى نهاية فشلها، فتكون له  
الخبرة لتدارك أخطائه.

و يقول: «نصوّر دور المسلم طبقاً لضروريات داخلية  
و ضروريات خارجية، ضرورات إنشاء وتشيد في الداخل،  
و ضرورات اتصال وإشعاع في الخارج، فيجب على المسلم أن  
يلبّغ الإسلام، و أن يحدد شروط هذا التبليغ، و عندئذ عليه أن  
يرفع مستواه بحيث يستطيع فعلاً القيام بهذا الدور؛ إذ بمقدار  
ما يرتفع إلى مستوى الحضارة بمقدار ما يصبح قادراً على  
تعميم ذلك الفضل الذي أعطاه الله له (أعني دينه)؛ إذ عندها  
فقط يصبح قادراً أيضاً على بلوغ قمم الحقيقة الإسلامية  
واكتشاف قيم الفضيلة الإسلامية، و من ثم ينزل إلى هضاب  
الحضارة المتعطشة فيرويهها بالحقيقة الإسلامية و بالهدي، و  
بذلك يضيف إليها بُعداً جديداً؛ لأن الحضارة العلمانية،  
حضارة الصاروخ، و حضارة الإلكترونيات، اكتسبت هذه  
الأشياء و ضيّعت بعداً آخر تشعر بفقدانه و هو بُعد السماء.



إذا أراد المسلم أن يسدَّ هذا الفراغ في النفوس المتعطشة.. فيجب أولاً: أن يرفع مستواه إلى مستوى الحضارة أو أعلى منها، كي يرفع الحضارة بذلك إلى قداسة الوجود، إلى ربانيّة الوجود، ولا قداسة لهذا الوجود إلا بوجود الله.

والمسلم إذا أتى بهذا كإنسان معاصر للناس، شاهدٍ عليهم بالتقوى والورع، بنزاهة الشاهد الصادق، الصادق الخبير، الواعي لقيمة شهادته.. إذا أتى المسلم هكذا: عندئذ ترتفع الحضارة كلّها إلى مستوى القداسة. أي إن الوجود الذي فقد القداسة في القرنين الأخيرين، خصوصاً في هذا القرن العشرين، تعود إليه قداسته؛ لأن القداسة من الله، و من الله وحده، ولا شيء يعطي القداسة لهذا الوجود غير الله سبحانه وتعالى»<sup>(١)</sup>.

#### رابعاً- عطاء الإسلام للبشرية:

ولئن آل حال هذه الأمة المسلمة إلى ما نعرفه اليوم من تخلف وحرمان، حيث سبقتنا الأمم الأخرى أشواطاً كبيرة في مجال العلم والصناعة والمادة... وأصبحنا نقف على فتات موائدهم، لئن كان ذلك فإن مقومات الشهادة والريادة - مرة

---

(١) المصدر نفسه، مقتطفات من ص ٣٣ - ٣٦.

أخرى - متوفرة كامنة في هذه الأمة، فهي وإن لم تستطع - الآن على الأقل - أن تقدم للعالم علماً مادياً وتقنية ومدنية.. فإنها تستطيع أن تقدم للبشرية الحائرة نظاماً إلهياً يستنقذها مما تعاني منه، ويرتفع بها إلى مستوى إنسانيتها، ويعالج أمراضها وأدواءها، ويعطيها من الروح والنور والهدى ما يفيض عليها السكينة و الاستقرار بكل أبعاده ومعانيه، بعد رحلة الضياع البعيدة والحروب و الدمار التي تعاني منها.

### خامساً- شهادات غربية:

(أ) ويعبر عن هذا خير تعبير كلمة الأستاذ إيرفنج، الأستاذ بجامعة تنسي الأمريكية، حينما وقف مخاطباً تجمعا للمسلمين في مدينة جلاسجو ببريطانيا منذ سنوات، فقال: «إنكم لن تستطيعوا أن تنافسوا الدول الكبرى علمياً، أو تقنياً، أو اقتصادياً، أو سياسياً، أو عسكرياً، ولكنكم تستطيعون أن تجعلوا تلك الدول تجثو على ركبها أمامكم بالإسلام! أفيقوا من غفلتكم لقيمة هذا النور الذي تحملون، والذي تتعطش إليه أرواح الناس في مختلف جنبات الأرض، تعلموا الإسلام وطبقوه، واحملوه لغيركم من البشر تنفتح أمامكم الدنيا، ويدن لكم كل ذي سلطان، أعطوني أربعين شاباً ممن يفهمون هذا الدين فهماً عميقاً، يطبقونه على حياتهم تطبيقاً دقيقاً، ويحسنون

عرضه على الناس بلغة العصر وأسلوبه وأنا أفتح بهم الأمريكيتين»<sup>(١)</sup>.

ب) وهذا التوازن و الانسجام بين حاجات الجسد وأشواقه الروحية، بين المادة والروح- كما يقولون- هو الذي نفتقده الحضارة الغربية المعاصرة، التي يشبّهها الأستاذ المفكر محمد أسد (ليوبولد فايس سابقاً) بالأعور الدجال الذي يتمتع بقوة خفية يُنعم الله بها عليه، حيث يقول:

«إن المدنية الغربية لم تستطع حتى الآن أن تقيم توازناً بين حاجات الإنسان الجسدية والاجتماعية وبين أشواقه الروحية. لقد تخلّت عن آدابها الدينية السابقة دون أن تتمكن من أن تخرج نفسها من أي نظام أخلاقي آخر مهما كان نظرياً، يخضع نفسه للعقل. وبالرغم من كل ما حقّقته من تقدم ثقافي؛ فإنها لم تستطع حتى الآن أن تتغلب على استعداد الإنسان الأحمق للسقوط فريسة لأي هتاف عدائي أو نداء للحرب، مهما كان سخيفاً باطلاً، يخترعه الحاقدون من زعماء الثورات. لقد رفعت المدنية الغربية "منظمة" التقنية إلى فنٍّ سام، فإن الأمم

---

(١) ((قضية التخلف العلمي والتقني في العالم الإسلامي))، د. زغلول النجار

ص ١٢٧، وراجع: ((الإسلام ومشكلات الحضارة))، سيد قطب ص

١٣٦ وما بعدها.

الغربية تدلل كل يوم على عجزها المطلق عن السيطرة على القوى التي أوجدها علماءها الرياضيون؛ فالأمم الغربية قد وصلت الآن إلى درجة أصبحت معها الإمكانيات العلمية غير المحدودة تصاحب الفوضى العلمية. وإذا كان الغربيُّ يفتقر إلى كل توجيه صادق: فإنه لا يستطيع أن يفيد أدبياً من ضياء المعرفة الذي تسكبه علومه - وهي لاشك عظيمة - فعليه يمكن أن تنطبق كلمات القرآن الكريم: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (١٧) صُمُّ بُكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿[البقرة ١٧ - ١٨].

و مع ذلك: فالغربيون، في تعاظم عماهم، مقتنعون بأن مدنيّتهم هي التي ستجلب النور والسعادة للعالم. في القرنين الثامن عشر و التاسع عشر فكّروا في نشر الرسالة المسيحية في العالم أجمع، أما وقد خمدت حماستهم الدينية في هذا القرن العشرين إلى درجة أصبحوا معها لا يسمحون للدين بأن يؤثّر في الحياة المليّة، فقد بدؤوا -بدلاً من ذلك- يشرّون بالرسالة المادية: «لطريقة الحياة الغربية»، الاعتقاد بأن جميع المشاكل الإنسانية يمكن حلّها في المصانع والمختبرات ومكاتب الاختصاصيين. وهكذا ساد الدجّال...»<sup>(١)</sup>.

(١) انظر: ((الطريق إلى مكة))، محمد أسد، ص (٣١٠ - ٣١١).

ج) ويقول الأمير تشارلس وليُّ عهد بريطانيا في محاضرة قيمة ألقاها في قاعة المؤتمرات بوزارة الخارجية البريطانية في ديسمبر من عام ١٩٩٦م، تحمل دلالة واضحة بالنسبة للمعنى الذي أشرنا إليه:

«إنَّ المادية المعاصرة تفتقر إلى التوازن. وأضرارُ عواقبها بعيدةٌ في تزايد... إنَّ القرون الثلاثة الأخيرة شهدت - في العالم الغربي على أقل تقدير - انقساماً خطيراً في طريقة رؤيتنا للعالم المحيط بنا. فقد حاول العلم بسط احتكاره، بل سطوته المستبدة، على طريقة فهمنا للعالم. وانفصل الدين والعلم عن بعضهما بعض، بحيث صرنا الآن كما قال الشاعر (وردزورث): "لا نرى إلا القليل في أمنَّا الطبيعة التي نملكها".

لقد سعى العلم إلى انتزاع الطبيعة من الخالق، فجزَّأ الكون إلى فرق، وأقصى «المقدس» إلى زاوية نائية ثانوية من ملكة الفهم عندنا، وأبعده عن وجودنا العملي. والآن فقط بدأنا نقدر العواقب المدمرة. ويبدو أننا نحن - أبناء العالم الغربي - قد فقدنا الإحساس بالمعنى الكلي لبيئتنا، وبمسؤوليتنا إزاء الكون كله الذي خلقه الله، وقادنا ذلك إلى فشل ذريع في تقدير أو إدراك التراث وحكمة السلف، ذلك التراث المتراكم على مدار

القرون. والحق أن ثمة تحاملاً شديداً على التراث، كما لو كان جذاماً اجتماعياً منفراً. وثمة الآن في نظري حاجة إلى مقابلة كلية شاملة. لقد أدى العلم لنا خدمة جليلة في تبياننا أن العالم أعقد بكثير مما كنا نتخيل. ولكن العلم في شكله المادي الحديث، الأحادي، عاجز عن تفسير كل شيء. إن الخالق ليس ذلك الرياضي الذي تخيَّله نيوتن، وليس صانع الساعة الأول<sup>(١)</sup> إن انفصال التكنولوجيا عن القيم والموازين الأخلاقية والمقدسة قد بلغ حداً مريعاً مفزعاً. وهذا ما نراه في التلاعب بالمورثات (الجينات) أو في عواقب الغطرسة العلمية التي تتجلى في أبشع صورها في مرض جنون الأبقار.

لقد كنت أستشعر دائماً أن التراث في حياتنا ليس من صنع الإنسان، إنما هو إلهام فطري وهبه الخالق لنا لإدراك إيقاع الطبيعة، والتناغم الجوهرى الذى ينشأ عن وحدة أضداد متفرقة، ماثلة في كل مظهر من مظاهر الطبيعة. إن التراث يعكس النظام السرمدي للكون، ويشدنا إلى الوعي بالأسرار العظيمة للكون الفسيح، بحيث نستطيع - كما قال الشاعر «وليم بليك» - أن نرى كامل الكون في ذرة ونرى الأبدية في لحظة...

إن الثقافة الإسلامية في شكلها التراثي جاهدت للحفاظ على هذه الرؤية الروحية المتكاملة للعالم بطريقة لم نجدها نحن خلال الأجيال الأخيرة في الغرب موائمة للتطبيق. وهناك الكثير مما يمكن أن نتعلمه من رؤية العالم الإسلامي في هذا المضمار.

إننا - نحن أبناء الغرب - نحتاج إلى معلمين مسلمين ليعلمونا كيف نتعلم بقلوبنا كما نتعلم بعقولنا. وإن اقتراب الألف الثالثة قد يكون الحافز المثالي الذي يدفعنا لاستكشاف هذه الصلات وتحفيزها. وآمل ألا تفوت الفرصة السانحة لإعادة اكتشاف الجانب الروحي في رؤيتنا لوجودنا بأجمعه»<sup>(١)</sup>.

(د) ويقول المستشرق "جيب": مازال الإسلام يحفظ التوازن بين الاتجاهين المتغالين المتقابلين في دنيا الغرب، فهو يساوي ويوائم بين الاشتراكية القومية الأوروبية وبين شيوعية روسيا، فلم يهرِ بالجانب الاقتصادي من الحياة إلى ذلك النطاق الضيق الذي أصبح من مميزات أوروبا في الوقت الحالي، والذي

---

(١) جريدة الشرق الأوسط، العدد (٦٥٩٢) بتاريخ ١٥/١٢/١٩٩٦، نقلا عن كتاب ((كيف ندعو الناس)) للأستاذ محمد قطب، ص (١٨٦) - (١٨٧). ونقل فقرات من هذه المحاضرة أيضاً: الدكتور مراد هوفمان في كتابه: ((الإسلام في الألفية الثالثة: ديانة في صعود))، ص ١٤٤ - ١٤٥.

هو اليوم من مميزات روسيا أيضًا<sup>(١)</sup>.

هـ) وينقل مراد هوفمان - سفير ألمانيا السابق في المغرب - عن بعض الكتّاب الغربيين: أن الغرب تتهدده اليوم بروليتاريا فكرية. وليس بروليتاريا العمال التي كان كارل ماركس ينادي بتكوينها وتشكيلها. ثم يعلّق على ذلك بقوله:

ولكن إذا كان الأمر بالفعل كذلك، أي إن جذور الأزمة الأخلاقية الحالية في الغرب تعود إلى ٢٥٠ عامًا مضت، فإن عملية الشفاء منها تبدأ بنقد جذري لعقلانية الحداثة وما خلفته من دين بديل. فلن يكون هناك أمل في الشفاء إلا إذا نجحنا في تحرير الغرب من وهم الحداثة التي تحكمه؛ لأننا في هذه الحالة فقط، ننجح في وقف عملية التسميم الذاتي العقلاني التي يمارسها الغرب ليتمكن من إعادة صلته بالغيبيات، وأن يستعيد المقدّس والإلهي مكانته في دائرة اهتمامه، ويكون أمام عينيه. إذا فالأمر يتطلب إعادة الاعتبار للدين كردّ فعل عقلائي على حاجة الإنسانية، والتي لا بد أن تبدأ بوضع العلوم التطبيقية في مكانها الطبيعي، وليس كبديل عن الدين.

---

(١) انظر: ((الإسلام والنظام العالمي الجديد))، لمولانا محمد علي، ص ٤٥، و((التكافل الاجتماعي في الإسلام))، د. مصطفى السباعي، ص ٢٧٥.



الأمر باختصار يتطلب عملية تغيير في النماذج المتبعة، تهدف إلى رؤية دينية جديدة للعالم، تتجدد من خلال موضوعية الإسلام و غيبياته المعقولة ووحدانته الخالية من الأسرار والغموض... ولا نرى أنه من الممكن أن تساهم أي ديانات أخرى أو أيديولوجيات في مسألة إعادة تشكيل الغرب ومساعدته على الشفاء من أمراضه؛ فالمسيحية فقدت بمرور الوقت المصدقية المطلوبة بسبب المبالغات التي تتضمنها.. والبوذية لا تساعد على تشكيل جماعات كبيرة، والليبرالية القائمة على "الحق الطبيعي" أضعف من أن تقوم بذلك... فإن الديانات المستعارة والبديلة غير قادرة على فكّ أغلال القوى الضرورية للتغلب على أنانية الفرد والجمهير.

ثم يقول: إنني أثق بقدره الإسلام على النجاح في أن يستبدل بالنموذج القائم نموذجَه القادر على تجاوز فشل الحداثة، وذلك بالرغم من قصور أتباعه<sup>(١)</sup>.

و) ويعزّز هذا أن علماء أوريين في تخصصات شتى يتطلعون إلى هذه الأمة ومنهجها وشريعتها لترسم لهم طريق الخلاص مما يعانونه من مشكلات فكرية وخلقية وحضارية و

---

(١) ((الإسلام في الألفية الثالثة: ديانة في صعود))، د. مراد هوفمان،

مقتطفات، ص ٢٨٥ - ٢٨٧.

قانونية، ويرى كثير من القانونيين الغربيين أن أحكام الشريعة الإسلامية في المسائل الدولية يمكن الاستفادة منها وبخاصة في مجالين رئيسيين:

(الأول): تطوير أحكام القانون الدولي والعلاقات الدولية في شأن مركز الفرد فيه والاعتراف به شخصاً من أشخاص القانون الدولي.

(الثاني): إدخال المبادئ والقيم الأخلاقية في القانون الدولي، لأن الشريعة الإسلامية غنية بالمسائل التي تتصل بهاتين المسألتين، وهما من الحاجات الملحة للقانون الدولي والعلاقات الدولية المعاصرة<sup>(١)</sup>.

وهذا كله يلقي على علماء الإسلام ومفكره وقادته مسؤولية ضخمة أمام الله تعالى، وأمام دينهم وأمتهم والأجيال القادمة، ولعلهم يقدرون هذه المسؤولية حق قدرها.

والله غالبٌ على أمره، ولكنَّ أكثر الناس لا يعلمون.

\*\*\*

---

(١) انظر: ((تطور القانون الدولي))، تأليف ولفغانغ فريدمان، ص ١٩٦، و((أصول العلاقات الدولية في فقه الإمام الشيباني))، د. عثمان ضميرية: ٢٦٦/١.

## الخاتمة

والخلاصة التي ننتهي إليها، بعد هذه اللمحات المتواضعة -حقيقة لا ادّعاء- أن الإسلام -بما أنه المنهج الإلهي الشامل الذي يتفق مع فطرة الإنسان ويلبّي جميع متطلباته، بل هو الفطرة ذاتها- هو دين الوسطية والاعتدال بالمفهوم الناصع المشرق الذي يستند إلى أحكام الشريعة ويتخذها معياراً لهذه الخاصية المميزة، بعيداً عن الإفراط والتفريط، وعن الغلو والتقصير.

وقد تبدّت ملامح هذه الوسطية ومظاهرها في كل المستويات الفردية والأسرية والجمعية، في العبادات والمعاملات والأخلاق، و في علاقة المسلم بربه و في علاقته بالناس، و في علاقة الأمة بغيرها من الأمم على أساس من الحق والخير والعدل. وكان لهذه الخاصية أثرها في حمل الأمة لرسالتها و القيام بالدور المنوط بها، وهي مدعوة اليوم لمحاولة ذلك مرة أخرى لتقدم للإنسانية ما قدمه الأسلاف من الهداية والعلم والحضارة والإبداع.

ولئن واجه الإسلام والمسلمون أنواعاً من الحرب الفكرية و العقائدية ظهرت في كثير من التُّهم الباطلة التي ألصقت بهما ظلماً وزوراً، فإنّ ذلك يحمل أهل العلم و الفكر والدعوة على

القيام بواجب البيان لحقيقة الإسلام وتشريعاته ودعوته، وردّ الشبهات والتُّهم، دون أن يكون ذلك سبباً للانزيمية والتحريف أو التميع للنصوص والأحكام الشرعية وتأويلها بما يخدم الأغراض والأهواء.

بل ينبغي تجاوز موقف الدفاع إلى موقف آخر توضع فيه الأمور في نصابها، فيكشف الستار عن أهل الغلو والتشدد و التطرف الحقيقيين، لتستبين الطريق وتقوم الحجة.

### التوصية:

ومما تجدر التوصية به في هذه المناسبة:

أن تقوم الجامعة مشكورة مأجورة -إن شاء الله تعالى- على طباعة ونشر البحوث الرائدة في هذه الندوة، وتعميمها وإشاعتها، فهي خطوة على الطريق في إعلاء خاصية الوسطية الإسلامية ونشرها.

وأن يتابع العلماء وأساتذة الجامعات هذه الدراسات الوسطية تأصيلاً وتمثيلاً وتطبيقاً عملياً، في البحوث والأطروحات الجامعية، مع استلهاهم النماذج المشرقة في حضارتنا الإسلامية، وما أكثرها! دون إغفال للمنهج العلمي الأصيل في البحث والدراسة.

كما ينبغي الالتفات إلى معالجة أسباب الانحراف عن الاعتدال والوسطية والجنوح إلى الغلو والتنعُّط، فيقوم المنهج عندئذ على دعامتين اثنتين تتصلان بالوقاية من الانحراف أولاً، ومعالجة بواعثه ومظاهره ثانياً.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾



## المصادر والمراجع

١. أباطيل و أسفار، محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.
٢. أخلاق الإسلام بين الفطرة والفكرة، محمد عدنان السبيعي، دار العصماء بدمشق، ١٤٢٧هـ.
٣. الإرهاب: دراسة لغوية وشرعية وقانونية، عثمان ضميرية، المنتدى الإسلامي، الرياض، ١٤٢٧هـ.
٤. أساس البلاغة، لجار الله الزَّحَّشَرِيّ. مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٧٣م.
٥. الإسلام في الألفية الثالثة: ديانة في صعود، د. مراد هوفمان، تعريب عادل المعلم، ويس إبراهيم.
٦. الإسلام والنظام العالمي الجديد، محمد علي، ترجمة أحمد جودة السحار، دار مصر بالقاهرة، ١٩٦٩م.
٧. الإسلام ومشكلات الحضارة، سيد قطب، دار الشروق بالقاهرة، الطبعة الخامسة، ١٣٩٩هـ.
٨. الأصولية الإنجيلية: نشأتها وغايتها ومقاومتها، صالح الهذلول، دار المسلم، الرياض، ١٤١٦هـ.
٩. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي، المطابع الأهلية بالرياض، ١٤٠٣هـ.
١٠. الاقتصاد الإسلامي: مدخل ومنهاج، د. عيسى عبده، مكتبة النهضة بالقاهرة، ١٣٩٦هـ.

١١. أنساب الأشراف للبلاذري، تحقيق د. إحسان عباس، الشركة المتحدة للتوزيع، بيروت، ١٩٩٦م.
١٢. بحوث ندوة أثر القرآن الكريم في تحقيق الوسطية ودفع الغلو، المنعقدة بمكة المكرمة، ١٤٢٤هـ.
١٣. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروزآبادي، مطبعة نهضة مصر، ١٤٠٦هـ.
١٤. تأملات في سلوك الإنسان، د. إلكسيس كاريل، ترجمة محمد القصاص، مكتبة مصر بالقاهرة.
١٥. تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، لابن فرحون، مصورة عن العامرة الشرفية بالقاهرة، ١٣٠١هـ.
١٦. تثبت دلائل النبوة، للقاضي عبد الجبار بن أحمد الهمداني، تحقيق عبد الكريم عثمان، دار العربية، بيروت.
١٧. تجديد التفكير الديني في الإسلام، تأليف محمد إقبال، ترجمة عباس محمود، بدون تاريخ.
١٨. التحرير والتنوير: تفسير الطاهر بن عاشور، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ.
١٩. تخريج أحاديث إحياء علوم الدين للعراقي وابن السبكي، دار العاصمة بالرياض، ١٤٠٨هـ.
٢٠. التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب، صالح الحصين، مؤسسة الوقف، الرياض ١٤٢٩هـ.
٢١. تطور القانون الدولي، تأليف ولفغانغ فريدمان، ترجمة لجنة من الأساتذة الجامعيين، بيروت، ١٩٧٤م.

٢٢. تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم)، لابن كثير، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٠ هـ.
٢٣. تفسير إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الحكيم، لأبي السعود، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٠ هـ.
٢٤. تفسير البحر المحیط، لأبي حيَّان. تصوير مكتبة النصر الحديثة بالرياض، بدون تاريخ.
٢٥. تفسير القرآن الحكيم، المسمى بتفسير المنار، لمحمد رشيد رضا. مكتبة القاهرة، ١٣٧٣ هـ.
٢٦. تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم. طبعة بيروت، وطبعة مكتبة الدار بالمدينة، ١٤٠٨ هـ.
٢٧. التفسير الكبير = مفاتيح الغيب للفخر الرازي.
٢٨. تفسير الماوردي: النكت و العيون، تحقيق السيد بن عبد المقصود، دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٩. تفسير النصوص في الفقه الإسلامي، محمد أديب صالح، المكتب الإسلامي بدمشق، ١٤٠٤ هـ.
٣٠. تفصيل الشَّاتين وتحصيل السَّعادتین، للراغب الأصفهاني، تحقيق عبد المجيد النجار، دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٥ هـ.
٣١. التكافل الاجتماعي في الإسلام، د. مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي، دمشق، ١٤١٨ هـ.
٣٢. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر، وزارة الأوقاف بالمغرب، ١٣٨٧ هـ.



٣٣. التوقيف على مهمات التعاريف، للمناوي، تحقيق رضوان الداية، دار الفكر، بيروت، ١٤١٠هـ.
٣٤. تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد، للشيخ سليمان بن عبد الله، المكتب الإسلامي بدمشق.
٣٥. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لابن سعدى، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٢٤هـ.
٣٦. الثبات والشمول في الشريعة الإسلامية، د. عابد محمد السفياي، مكتبة المنارة بمكة المكرمة، ١٤٠٨هـ.
٣٧. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري. تحقيق محمود شاكر، دار المعارف بمصر، ١٩٦٩م.
٣٨. جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر، دار الكتب الإسلامية بالقاهرة، ١٤٠٢هـ.
٣٩. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، الطبعة الثانية، بيروت، مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية.
٤٠. جهرة اللغة، لابن دريد، تحقيق وشرح عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي بمصر، ١٤٠١هـ.
٤١. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية، مطابع المجد التجارية بالرياض، دون تاريخ.
٤٢. الحاوي للفتاوى لجلال الدين السيوطي، مطبعة السعادة بمصر، ١٣٧٨هـ.
٤٣. حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، للأستاذ عباس محمود العقاد؛ دار الكتاب العربي، ١٩٧٤م.

٤٤. خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، سيد قطب. دار الشروق، القاهرة وبيروت، ١٤٠٣ هـ.
٤٥. الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، تحقيق عبد الله التركي، دار هجر بمصر، ١٤٢٤ هـ.
٤٦. دور المسلم و رسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين، مالك بن نبي، الشركة المتحدة، ١٣٩٤ هـ.
٤٧. الدين: بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، للدكتور محمد عبد الله دراز، دار القلم بالكويت.
٤٨. ديوان العَرَجِي، جمعه وحققه وشرحه د. سجع جميل الجبيلي، دار صادر، بيروت، ١٩٩٨ م.
٤٩. روح المعاني في تفسير القرآن و السبع المثاني للآلوسي، تصوير بيروت، عن الطبعة المنيرية، بدون تاريخ.
٥٠. زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، المكتب الإسلامي، دمشق وبيروت، ١٣٨٤ هـ.
٥١. سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، للصالح الشامي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة، ١٤١٤ هـ.
٥٢. سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي بيروت ١٤٠٥ هـ.
٥٣. سلسلة الأحاديث الضعيفة، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي بيروت ١٤٠٥ هـ.
٥٤. سنن ابن ماجة. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر ١٩٧٢ م.

٥٥. سنن أبي داود. مطبوع مع معالم السنن للخطّابي، مكتبة السنة  
المحمدية بالقاهرة، ١٣٦٩هـ.
٥٦. سنن الترمذي مع تحفة الأحوزي، تصحيح عبدالوهاب  
عبداللطيف، مؤسسة قرطبة، ١٤٠٦هـ.
٥٧. سنن الدارمي، تحقيق محمد أحمد دهمان، دار إحياء السنة  
النبوية، بيروت. بدون تاريخ.
٥٨. سنن النسائي بحاشية السيوطي والسندي، بعناية عبدالفتاح  
أبو غدة، بيروت، ١٤٠٦هـ.
٥٩. السياسة الشرعية والفقه الإسلامي، عبد الرحمن تاج، مطابع  
دار التأليف بالقاهرة. ١٣٧٣هـ.
٦٠. السياسة الشرعية، عبد الوهاب خلاف، دار الأنصار  
بالقاهرة، ١٣٩٧هـ.
٦١. شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز، تحقيق شعيب  
الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٨هـ.
٦٢. شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، تحقيق محمد أبو الفضل  
إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة.
٦٣. الصحاح، للجوهري. تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، دار  
العلم للملايين، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ.
٦٤. صحيح البخاري، مطبوع مع فتح الباري لابن حجر، المطبعة  
السلفية، تصوير بيروت ١٤٠٨هـ.
٦٥. صحيح مسلم. تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، مطبعة ومكتبة  
عيسى البابي الحلبي ١٣٧٤هـ.

٦٦. صفوة الآثار والمفاهيم في تفسير القرآن، عبدالرحمن الدوسري، دار الأرقم بالكويت، ١٤٠١هـ.
٦٧. الطريق إلى مكة لمحمد أسد، ترجمة عفيف البعلبكي. دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٨م.
٦٨. عالم الغيب والشهادة في التصور الإسلامي، عثمان ضميرية، مكتبة السوادى بجدة، ١٤٠٨هـ.
٦٩. العلمانية: نشأتها وتطورها»، د. سفر الحوالي، منشورات مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، ١٤٠٢هـ.
٧٠. عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي، تحقيق محمود الدغيم، استانبول، ١٤١٢هـ.
٧١. غريب القرآن لابن قتيبة (ضمن القرطين لابن مطرف الكنانى) مكتبة الخانجي بمصر، ١٣٥٦هـ.
٧٢. الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة، د. عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، ١٤١٢هـ.
٧٣. الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري، تحقيق حسام القدسي، مصور عن مكتبة القدسي، ١٩٧٤م
٧٤. الفكر الإسلامي الحديث و صلته بالاستعمار الغربي، د. محمد البهي، مكتبة وهبة بالقاهرة، ١٣٩٧هـ.
٧٥. الفكر الإسلامي في مواجهة الأفكار الغربية، محمد المبارك، دار الفكر، بيروت، ١٣٨٩هـ.
٧٦. الفوائد لابن القيم، تحقيق أحمد راتب عرموش، دار الفوائد، بيروت، ١٣٩٨هـ.

٧٧. في ظلال القرآن، لسيد قطب. دار الشروق، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٣٩٧هـ.
٧٨. القاموس المحيط، للفيروزآبادي. بترتيب الطاهر أحمد الزاوي، مطبعة عيسى الحلبي، ١٩٧١.
٧٩. قضية التخلف العلمي والتقني في العالم الإسلامي، زغلول النجار، كتاب الأمة، الدوحة، ١٤٠٩هـ.
٨٠. القواعد الكبرى: قواعد الأحكام في إصلاح الأنام، للعز بن عبد السلام، دار القلم بدمشق، ١٤٣٠هـ.
٨١. كشاف اصطلاحات الفنون، للتهانوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، وطبعة دار صادر. بدون تاريخ.
٨٢. الكشف عن حقائق التنزيل للزمخشري، ومعه الكافي الشاف لابن حجر، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.
٨٣. الكليات، لأبي البقاء الكفوي. أعده للطبع: عدنان درويش، ومحمد المصري، دمشق، ١٩٨٢م.
٨٤. كيف ندعو الناس، محمد قطب، دار الشروق بالقاهرة وبيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
٨٥. لسان العرب، لابن منظور الافريقي. دار صادر بيروت. بدون تاريخ.
٨٦. مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، للفتني، دائرة المعارف العثمانية بالهند، ١٣٨٧.
٨٧. مجموع فتاوى ابن تيمية، جمع ابن قاسم، مجمع الملك فهد بالمدينة المنورة، ١٤٢٨هـ.

٨٨. مجموع فتاوى ومقالات، للشيخ عبد العزيز ابن باز، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ١٤٢٧هـ.
٨٩. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي، تحقيق عبدالله الأنصاري وآخرين، الدوحة، ١٣٩٨هـ.
٩٠. المُحَكَّم والمحيط الأعظم في اللغة، لابن سيده. دار الكتب العلمية، بيروت.
٩١. مختصر سنن أبي داود، للمنذري، مع معالم السنن للخطّابي، مطبعة السنة المحمدية، ١٣٦٩ هـ.
٩٢. مدارج السالكين لابن القيم، تحقيق محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ١٣٨٦هـ. وطبعة دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٣هـ.
٩٣. مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، عثمان جمعة ضميرية، مكتبة السوادى، جدة، ١٤١٤هـ.
٩٤. المستدرك على الصحيحين، للحاكم، ومعه تلخيص الذهبي، تصوير دار المعرفة عن طبعة الهند، دون تاريخ.
٩٥. مستقبل الحضارة بين العلمانية والشيوعية والإسلام، يوسف كمال محمد، المختار الإسلامي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٩٤هـ.
٩٦. المسند، للإمام أحمد بن حنبل، طبعة المكتب الإسلامي، عن طبعة بولاق، ١٤٠٥هـ. وطبعة الرسالة بإشراف شعيب الأرنؤوط، ١٤٢١هـ.

٩٧. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، للفيومي. تحقيق  
عبدالعظيم الشناوي، دار المعارف بمصر، ١٩٧٧.
٩٨. المصنّف في الأحاديث والآثار، لابن أبي شيبة، تحقيق عامر  
الأعظمي، الدار السلفية بالهند، ١٤٠٣ هـ.
٩٩. معالم التنزيل، تفسير البغوي، تحقيق محمد النمر وآخرين،  
دار طيبة بالرياض، ١٤١٤ هـ.
١٠٠. معالم تاريخ الإنسانية، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد،  
وزارة التربية بمصر، سلسلة الألف كتاب.
١٠١. المعجم الوسيط، بإشراف ابراهيم أنيس، إصدار مجمع  
اللغة العربية بالقاهرة، ١٩٧٤ م.
١٠٢. معين الحكام، لعلاء الدين الطرابلسي الحنفي، مطبعة  
مصطفى البابي الحلبي بمصر، ١٣٨٧ هـ.
١٠٣. مفاتيح الغيب، أو التفسير الكبير للنفخ الرازي. دار الفكر  
للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٥ هـ.
١٠٤. مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، للأستاذ علال  
الفاسي، مكتبة الوحدة بالدار البيضاء، ١٩٦٣ م.
١٠٥. الموافقات في أصول الشريعة للشاطبي، تحقيق عبد الله  
دراز، تصوير دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٥ هـ.
١٠٦. الموسوعة العربية الميسرة، بإشراف شفيق غربال، دار نهضة  
لبنان، بيروت ١٤٠٧ هـ.
١٠٧. نشأة الدين»، د. علي سامي النشار، مكتبة الخانجي  
بالقاهرة. بدون تاريخ.

١٠٨. النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير. تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، بيروت ١٣٩٤هـ.
١٠٩. الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز، للدماغاني، حققه محمد حسن أبو العزم، القاهرة، ١٤١٢ هـ.
١١٠. الوسيط في تفسير القرآن للوَّاحِدِيّ، تحقيق محمد أبو العزم، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٤٠٦ هـ.
١١١. الوصية الكبرى لابن تيمية، تحقيق عثمان جمعة ضميرية، مكتبة الفاروق بالطائف، السعودية، ١٤١٢ هـ.





## المحتوى

٣	المقدمة.....
٦	أهمية البحث: .....
٨	موضوع البحث وحدوده.....
٩	تنويه بشرف المكان والموضوع: .....
١١	خطة البحث: .....
٢٠	المبحث الأول: مفهوم الوسطية.....
٢١	أولاً- الوسط والوسطية في اللغة العربية: .....
٣٢	ثانياً- وجوه الوسطية في القرآن الكريم: .....
٣٣	ثالثاً- معنى الوسط في آية سورة البقرة: .....
٤٠	رابعاً- مفهوم الوسطية اصطلاحاً: .....
٤١	خامساً- بلاغة الأسلوب القرآني: .....
٤٣	سادساً- الوسطية وأخواتها: .....
٥٠	سابعاً- الوسطية وأضدادها: .....
٦١	المبحث الثاني: وسطية الإسلام بين الأديان.....
٦١	أولاً- الإسلام بمعناه العام: .....
٦٥	ثانياً- مظاهر وسطية الإسلام: .....

١٠٠	.....	ثالثاً- الوسطية معيار للتكاليف الشرعية:
١٠٢	.....	المبحث الثالث: الشريعة معيار الوسطية.
١٠٢	.....	أولاً- معايير موهومة:
١٠٣	.....	ثانياً- المعيار الدقيق:
١٠٤	.....	ثالثاً- هذه الأمة أصناف ثلاثة:
١٠٦	.....	رابعاً- نقد نظرية الفضيلة في الفلسفة اليونانية:
١١٠	.....	المبحث الرابع: مسؤولية الأمة المسلمة ودورها.
١١٠	.....	أولاً- الأمة الوسط في ظلال القرآن:
١١٣	.....	ثانياً- وظيفة الأمة الوسط ودورها:
١١٤	.....	ثالثاً- دور المسلم ورسالته:
١١٨	.....	رابعاً- عطاء الإسلام للبشرية:
١١٩	.....	خامساً- شهادات غربية:
١٢٨	.....	الخاتمة.
١٢٩	.....	التوصية:
١٣١	.....	المصادر و المراجع.

## صدر من هذه السلسلة

- ١- تأملات في سورة الفاتحة ..... د. حسن باجودة
- ٢- الجهاد في الإسلام مراتبه ومطالبه ..... أ. أحمد محمد جمال
- ٣- الرسول في كتابات المستشرقين ..... أ. نذير حمدان
- ٤- الإسلام الفاتح ..... د. حسين مؤنس
- ٥- وسائل مقاومة الغزو الفكري ..... د. حسان محمد حسان
- ٦- السيرة النبوية في القرآن ..... د. عبد الصبور مرزوق
- ٧- التخطيط للدعوة الإسلامية ..... د. علي محمد جريشة
- ٨- صناعة الكتابة وتطورها في العصور الإسلامية ..... د. أحمد السيد دراج
- ٩- التوعية الشاملة في الحج ..... أ. عبد الله بوقس
- ١٠- الفقه الإسلامي آفاقه وتطوره ..... د. عباس حسني محمد
- ١١- لمحات نفسية في القرآن الكريم ..... د. عبد الحميد محمد الهاشمي
- ١٢- السنة في مواجهة الأباطيل ..... أ. محمد طاهر حكيم
- ١٣- مولود على الفطرة ..... أ. حسين أحمد حسون
- ١٤- دور المسجد في الإسلام ..... أ. علي محمد مختار
- ١٥- تاريخ القرآن الكريم ..... د. محمد سالم محيسن
- ١٦- البيئة الإدارية في الجاهلية وصدر الإسلام ..... أ. محمد محمود فرغلي
- ١٧- القرآن الكريم كتاب أحكمت آياته (١) ..... د. محمد الصادق عفيفي
- ١٨- المرأة وحقوقها في الإسلام ..... أ. أحمد محمد جمال
- ١٩- القراءات : أحكامها ومصدرها ..... د. شعبان محمد اسماعيل
- ٢٠- المعاملات في الإسلام ..... د. عبدالستار سعيد
- ٢١- الزكاة : فلسفتها وأحكامها ..... د. علي محمد العماري
- ٢٢- حقيقة الإنسان بين القرآن وتصور العلوم ..... د. أبو اليزيد العجمي
- ٢٣- الأقليات المسلمة في آسيا وأستراليا ..... أ. سيد عبد المجيد بكر
- ٢٤- الاستشراق والمستشرقون وجهة نظر ..... د. عدنان محمد وزان
- ٢٥- الإسلام والحركات الهدامة ..... معالي عبد الحميد حمودة
- ٢٦- تربية النشء في ظل الإسلام ..... د. محمود محمد عمارة
- ط١ (١٤٠٤هـ)، ط٢ (١٤٢١هـ).
- ٢٧- مفهوم ومنهج الاقتصاد الإسلامي ..... د. محمد شوقي الفنجرى
- ٢٨- وحي الله - حقائق وخصائص في الكتاب والسنة ..... د. حسن ضياء الدين عتر
- ٢٩- حقوق الإنسان وواجباته في القرآن ..... أ. حسن أحمد عبد الرحمن عابدين
- ٣٠- المنهج الإسلامي في تعليم العلوم الطبيعية ..... أ. محمد عمر القصار
- ٣١- القرآن كتاب أحكمت آياته (٢) ..... أ. أحمد محمد جمال

٣٢-	الدعوة في الإسلام عقيدة ومنهج .....	د. السيد رزق الطويل
٣٣-	الإعلام في المجتمع الإسلامي .....	أ. حامد عبدالواحد
٣٤-	الالتزام الديني منهج وسط .....	الشيخ عبدالرحمن حسن حبنكة
٣٥-	التربية النفسية في المنهج الإسلامي .....	د. حسن الشرقاوي
٣٦-	الإسلام والعلاقات الدولية .....	د. محمد الصادق عفيفي
٣٧-	العسكرية الإسلامية ونهضتنا الحضارية .....	اللواء الركن محمد جمال الدين محفوظ
٣٨-	معاني الأخوة في الإسلام ومقاصدها .....	د. محمود محمد بابلي
٣٩-	النهج الحديث في مختصر علوم الحديث .....	د. علي محمد نصر
٤٠-	من التراث الاقتصادي (١) .....	د. رفعت العوضي
٤١-	أسس المفاهيم الاقتصادية في الإسلام .....	د. عبد العليم عبدالرحمن خضر
٤٢-	الأقليات المسلمة في أفريقيا .....	أ. سيد عبد المجيد بكر
٤٣-	الأقليات المسلمة في أوروبا .....	أ. سيد عبد المجيد بكر
٤٤-	الأقليات المسلمة في الأمريكتين والبحر الكاريبي .....	أ. سيد عبد المجيد بكر
٤٥-	الطريق إلى النصر .....	أ. محمد عبدالله فودة
٤٦-	الإسلام دعوة الحق .....	د. السيد رزق الطويل
٤٧-	الإسلام والنظر في آيات الله الكونية .....	د. محمد عبد الله الشرقاوي
٤٨-	دحض مفتريات ضد إعجاز القرآن ولغته .....	د. البدر اوي عبد الوهاب زهران
٤٩-	المجاهدون في فطاني .....	أ. ضياء شهاب
٥٠-	معجزة خلق الإنسان بين الطب والقرآن .....	د. نبيه عبد الرحمن عثمان
٥١-	مفهوم القيادة في إطار العقيدة الإسلامية .....	د. سيد عبد الحميد مرسى
٥٢-	ما يختلف فيه الإسلام عن الفكر الغربي والماركسي .....	أ. أنور الجندي
٥٣-	الشورى سلوك والتزام .....	د. محمود محمد بابلي
٥٤-	الصبر في ضوء الكتاب والسنة .....	أ. أسماء عمر فدعق
٥٥-	مدخل إلى تحصين الأمة .....	د. أحمد محمد الخراط
٥٦-	القرآن كتاب أحكمت آياته (٣) .....	أ. أحمد محمد جمال
٥٧-	كيف تكون خطيباً .....	الشيخ عبد الرحمن خليف
٥٨-	الزواج بغير المسلمين ١ (١٤٠٦ هـ) ، ط ٢ (١٤٢١ هـ) .....	الشيخ حسن خالد
٥٩-	نظرات في قصص القرآن (١) .....	أ. محمد قطب عبدالعال
٦٠-	اللسان العربي والإسلام معاً في معركة المواجهة .....	د. السيد رزق الطويل
٦١-	بين علم آدم والعلم الحديث .....	أ. محمد شهاب الدين الندوي
٦٢-	المجتمع الإسلامي وحقوق الإنسان .....	د. محمد الصادق عفيفي
٦٣-	من التراث الاقتصادي للمسلمين (٢) .....	د. رفعت العوضي
٦٤-	تصحيح مفاهيم حول التوكل والجهاد .....	الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة
٦٥-	لماذا وكيف أسلمت (١) .....	أ. أحمد سامي عبد الله

٦٦-	أصلح الأديان للإنسانية عقيدة وشريعة .....	أ. أحمد عبد الغفور عطار
٦٧-	العدل والتسامح الإسلامي .....	أ. السيد أحمد المخزنجي
٦٨-	القرآن كتاب أحكمت آياته (٤) .....	أ. أحمد محمد جمال
٦٩-	الحريات والحقوق في الإسلام .....	أ. محمد رجاء حنفي عبد المتجلي
٧٠-	الإنسان الروح والعقل والنفس .....	د. نبيه عبد الرحمن عثمان
٧١-	موقف الجمهوريين من السنة النبوية .....	د. شوقي بشير
٧٢-	الإسلام وغزو الفضاء .....	الشيخ محمد سويد
٧٣-	تأملات قرآنية .....	د. عصمة الدين كركر
٧٤-	الماسونية سرطان الأمم .....	أ. أبو إسلام أحمد عبد الله
٧٥-	المرأة بين الجاهلية والإسلام .....	أ. سعد صادق محمد
٧٦-	استخلاف آدم عليه السلام .....	د. علي محمد نصر
٧٧-	نظرات في قصص القرآن (٢) .....	أ. محمد قطب عبد العال
٧٨-	لماذا وكيف أسلمت (٢) .....	أ. أحمد سامي عبد الله
٧٩-	كيف نُدرّس القرآن لأبنائنا .....	د. سراج محمد وزان
٨٠-	الدعوة والدعاة .. مسؤولية وتاريخ .....	الشيخ أبو الحسن الندوي
٨١-	كيف بدأ الخلق .....	أ. عيسى العرباوي
٨٢-	خطوات على طريق الدعوة .....	أ. أحمد محمد جمال
٨٣-	المرأة المسلمة بين نظرتين .....	أ. صالح محمد جمال
٨٤-	المبادئ الاجتماعية في الإسلام .....	أ. محمد رجاء حنفي عبد المتجلي
٨٥-	التآمر الصهيوني الصليبي على الإسلام .....	د. عاصم حمدان علي
٨٦-	الحقوق المتقابلة بين الزوجين في الشريعة الإسلامية ..	د. عبد الله محمد سعيد
٨٧-	من حديث القرآن عن الإنسان .....	د. علي محمد حسن العماري
٨٨-	نور من القرآن في طريق الدعوة والدعاة .....	د. محمد الحسين أبوسم
٨٩-	أسلوب جديد في حرب الإسلام .....	أ. جهمان عايض الزهراني
٩٠-	القضاء في الإسلام .....	أ. سليمان محمد الحميضي
٩١-	دولة الباطل في فلسطين .....	الشيخ محمد سويد
٩٢-	المنظور الإسلامي لمشكلة الغذاء وتحديد النسل .....	د. حلمي عبد المنعم صابر
٩٣-	التجهير الصيني في تركستان الشرقية .....	أ. رحمة الله رحمتي
٩٤-	الفطرة وقيمة العمل في الإسلام .....	أ. اسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي
٩٥-	أوصيكم بالشباب خيراً .....	أ. أحمد محمد جمال
٩٦-	المسلمون في دوائر النسيان .....	أ. أسماء أبو بكر محمد
٩٧-	من خصائص الإعلام الإسلامي .....	أ. محمد خير رمضان يوسف
٩٨-	الحرية الاقتصادية في الإسلام .....	د. محمود محمد بابلي
٩٩-	من جماليات التصوير في القرآن الكريم .....	أ. محمد قطب عبد العال
١٠٠-	مواقف من سيرة الرسول ﷺ .....	أ. الأمين الحاج محمد أحمد

أ. عبد الرحمن خليف	اللسان العربي بين الانتشار والانحسار	١٠١-
السيد هاشم عقيل عزوز	أخطار حول الإسلام	١٠٢-
د. عبد الله محمد سعيد	صلاة الجماعة دراسة فقهية مقارنة	١٠٣-
د. اسماعيل سالم عبدالعال	المستشرقون والقرآن	١٠٤-
أ. أنسور الجندي	مستقبل الإسلام بعد سقوط الشيوعية	١٠٥-
د. شوقي أحمد دنيا	الاقتصاد الإسلامي هو البديل الصالح	١٠٦-
د. عبد المجيد أحمد منصور	توجيه وإرشاد الشباب المسلم نحو قضاء وقت الفراغ	١٠٧-
أ. السيد أحمد المخزنجي	في ظلال سيرة الرسول ﷺ	١٠٨-
د. ياسين الخطيب	المخدرات مضارها على الدين والدنيا	١٠٩-
أ. محمود محمد كمال عبد المطلب	أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	١١٠-
د. حياة محمد علي خفاجي	زينة المرأة بين الإباحة والتحریم	١١١-
د. سراج محمد وزان	التربية الإسلامية كيف نرغبها لأبنائنا	١١٢-
أ. عبد رب الرسول سيف	النموذج العصري للجهاد الإسلامي	١١٣-
أ. أحمد محمد جمال	المسلمون حديث ذو شجون	١١٤-
أ. نور الإسلام بن جعفر علي آل فايز	المسلمون في بورما .. التاريخ والتحديات	١١٥-
د. جابر المتولي قميحة	آثار التبشير والاستشراق على الشباب المسلم	١١٦-
أ. أحمد بن محمد المهدي	اللباس في الإسلام	١١٧-
أ. ناصر عبد الله العمار	الترف وأثره في المجتمع من خلال القرآن الكريم	١١٨-
أ. محمد أبو الليث الخير آبادي	أسس النظام المالي والاقتصادي في القرآن	١١٩-
د. اسماعيل سالم عبدالعال	المستشرقون والقرآن (٢)	١٢٠-
د. محمد سويد	الإسلام هو الحل	١٢١-
أ. محمد قطب عبد العال	نظرات في قصص القرآن (٣)	١٢٢-
د. محمد بهي الدين سالم	من حصاد الفكر الإسلامي	١٢٣-
أ. ساري محمد الزهراني	خواطر إسلامية	١٢٤-
أ. اسماعيل عبد الفتاح عبدالكافي	الإسلام ومكافحة المخدرات	١٢٥-
أ. صالح أبو عراد الشهري	دروس تربوية نبوية	١٢٦-
د. عبد الحلیم عويس	الشباب المسلم بين تجربة الماضي وآفاق المستقبل	١٢٧-
د. مصطفى عبد الواحد	من سيات الأدب الإسلامي	١٢٨-
أ. أحمد محمد جمال	خطوات على طريق الدعوة (١)	١٢٩-
أ. أحمد محمد جمال	خطوات على طريق الدعوة (٢)	١٣٠-
أ. عبد الباسط عز الدين	المسجد البابري قضية لا تنسى	١٣١-
د. سراج محمد وزان	التدريس في مدرسة النبوة	١٣٢-
أ. ابراهيم اسماعيل	الإعلام الإسلامي ووسائل الاتصال الحديثة	١٣٣-
د. حسن محمد باجودة	تسخير العلم والعمل لمجد الإسلام	١٣٤-
أ. أحمد أبو زيد	منهاج الداعية	١٣٥-

الشيخ. محمد بن ناصر العبودي	١٣٦-	في جنوب الصين .....
د. شوقي أحمد دينا	١٣٧-	التنمية والبيئة دراسة مقارنة .....
د. محمود محمد بابلي	١٣٨-	الشريعة الإسلامية شريعة العدل والفضل .....
أ. أنور الجندي	١٣٩-	سقوط الأيديولوجيات وكيف يملأ الإسلام الفراغ .....
أ. محمود الشرقاوي	١٤٠-	الطفل في الإسلام .....
أ. فتحي بن عبد الفضيل بن علي	١٤١-	التوحيد فطرة الله التي فطر الناس عليها .....
د. حياة محمد علي خفاجي	١٤٢-	لمحات من الطب الإسلامي .....
د. السيد محمد يونس	١٤٣-	الإسلام والمسلمون في ألبانيا .....
مجموعة من الأساتذة الكُتاب	١٤٤-	أحمد محمد جمال (رحمه الله) .....
أ. أحمد أبو زيد	١٤٥-	المهجوم على الإسلام في الروايات الأدبية .....
د. حامد أحمد الرفاعي	١٤٦-	الإسلام والنظام العالمي الجديد .....
أ. محمد قطب عبدالعال	١٤٧-	من جماليات التصوير في القرآن الكريم .....
أ. زيد بن محمد الرماني	١٤٨-	الواقع الاستهلاكي للعالم الإسلامي .....
أ. جهمان بن عايض الزهراني	١٤٩-	الماسونية والمرأة .....
أ. اسماعيل عبدالفتاح عبدالكافي	١٥٠-	جوانب من عظمة الإسلام .....
د. حسن محمد باجودة	١٥١-	الأسرة المسلمة في ضوء القرآن .....
د. أحمد موسى الشيشاني	١٥٢-	حرب القوقاز الأولى .....
أ. زيد بن محمد الرماني	١٥٣-	المفاهيم الاستهلاكية في ضوء القرآن والسنة النبوية .....
د. السيد محمد يونس	١٥٤-	المسلمون في جمهورية الشاشان .....
		وجهادهم في مقاومة الغزو الروسي
إعداد مجموعة من الباحثين	١٥٥-	القدس في ضمير العالم الإسلامي .....
إعداد مجموعة من الباحثين	١٥٦-	الطريق إلى الوحدة الإسلامية .....
د. جعفر عبدالسلام	١٥٧-	المركز القانوني الدولي لمدينة القدس .....
د. عبد الرحمن الخوراني	١٥٨-	الحوار النافع بين أصحاب الشرائع .....
أ. علي راضي أبو زريق	١٥٩-	الإنسان والبيئة .....
أ. محمود الشرقاوي	١٦٠-	الإسلام وأثره في الثقافة العالمية .....
أ. عبد الله أحمد خشيم	١٦١-	الموت .. ماذا أعدنا له ؟ .....
د. محمود محمد بابلي	١٦٢-	زواج المسلمة بغير المسلم وحكمة تحريمه .....
أ. أنور الجندي	١٦٣-	عطاء الإسلام الحضاري .....
أ. عاطف أبو زيد سليمان علي	١٦٤-	إحياء الأراضي الموات في الإسلام .....
أ. محمد بن سليمان الأهدل	١٦٥-	أهمية يوم الجمعة وخطب مختارة .....
أ. خالد الأصـور	١٦٦-	البوسنة والهرسك .. حقائق وأرقام .....
أ. محمد بن ناصر العبودي	١٦٧-	المسلمون في لاوس وكمبوديا .....
أ. إبراهيم الدرعاوي	١٦٨-	المشكلات التربوية والدينية عند المسلمين .....
		في المجتمع الهولندي

١٦٩ -	مفاهيم يجب أن تُصحح .....	أ. بغداد سيدي محمد أمين
١٧٠ -	السنة النبوية المطهرة .....	الشيخ محمد علي الصابوني
١٧١ -	نحو مشروع حضاري للإسلام .....	د. أحمد القديدي
١٧٢ -	الإعلام الإسلامي رسالة وهدف .....	أ. سمير بن جميل راضي
١٧٣ -	الشريعة والتشريع .....	أ. فاطمة السيد علي سباك
١٧٤ -	ترجمات معاني القرآن الكريم .....	د. عبدالله عباس الندوي
١٧٥ -	خصائص النظام الاقتصادي في الإسلام .....	أ. زيد بن محمد الرماني
١٧٦ -	الرحمة المهداة محمد رسول الله ﷺ .....	د. نزار بن عبد الكريم بن سلطان الحمداني
١٧٧ -	المعاهدات الدولية في فقه الإمام محمد الشيباني .....	أ. عثمان بن جمعة ضميرية
١٧٨ -	التكامل وتقسيم العمل الإقليمي بين الأقطار الإسلامية .....	د. محمد إبراهيم منصور
١٧٩ -	شقائق الرجال وحل مسألة المرأة في المنهج الإسلامي .....	أ. حسني شيخ عثمان
١٨٠ -	في غرب الهند .....	أ. محمد بن ناصر العبودي
١٨١ -	في بلاغة الدعاء النبوي .....	د. عبد الرزاق محمد محمود فضل
١٨٢ -	الإعلام الغربي والمؤامرة على الإسلام في أفريقيا .....	د. عبد العليم عبد الرحمن خضر
١٨٣ -	منهجية البحث العلمي وضوابطه في الإسلام .....	د. حلمي عبد المنعم صابر
١٨٤ -	معالم من الفكر التربوي عند علماء المسلمين .....	أ. د/ أحمد محمد الخراط
١٨٥ -	أهل الحل والعقد صفاتهم ووظائفهم .....	د. عبدالله بن إبراهيم الطريقي حامد
١٨٦ -	التربية في عهد الرسول [ نشأتها وتطورها ] .....	سالم عايض الحري
١٨٧ -	الزكاة وتنمية المجتمع .....	السيد أحمد المخزنجي
١٨٨ -	بلاد التتار والبلغار .....	محمد بن ناصر العبودي
١٨٩ -	خطبة الجمعة .....	د. نزار عبد الكريم سلطان الحمداني
١٩٠ -	عداوة الشيطان للإنسان كما جاء في القرآن .....	د. عبد العزيز بن صالح العبيد
١٩١ -	السفارة والسفراء في الإسلام .....	د. عثمان بن جمعة ضميرية
١٩٢ -	القدس الشريف حقائق التاريخ وآفاق المستقبل .....	أ. د. محمد علي حُلّة
١٩٣ -	أعمال الحاج بعد النفر من منى .....	د. ياسين بن ناصر الخطيب
١٩٤ -	التصريح بإثبات الأنجيل الأربعة .....	د. عبد الشكور بن محمد أمان العروسي
١٩٥ -	الاعتقاد الصحيح في المسيح تحليل مخاطر الاستشمار في المصارف الإسلامية بين النظرية والتطبيق .....	محمد نور علي عبدالله
١٩٦ -	المسيح عيسى بن مريم مصدق لما بين يديه في التوراة .....	د. عبدالله بن عبد العزيز الشيعي
١٩٧ -	من معوقات الدعوة على ضوء الكتاب والسنة «ضعف الإيذان» .....	د. عبد المهيمن عبد السلام طحان
١٩٨ -	معالم العلاقات الإنسانية في الإسلام .....	د. أحمد عبد الرحيم السايح



- ١٩٩- لمحات في سورة الأحزاب ..... أ. د. حسن بن محمد باجودة
- ٢٠٠- جوانب التعارض بين عنصر الأثوثة في المرأة ..... د. عدنان بن حسن باحارث
- ٢٠١- منهج القرآن الكريم في إثبات عقيدة ..... د. منظور بن محمد رمضان  
البعث بعد الموت «تفسير موضوعي».
- ٢٠٢- تفسير القرآن الكريم مصادره واتجاهاته ..... د. عبدالله بن الزبير بن عبدالرحمن
- ٢٠٣- الإسلام وعولمة الرأسمالية. .... د. عبدالحفيظ بن عبدالرحيم محجوب
- ٢٠٤- قصة أصحاب الخنة وقيمة النية في الشريعة الإسلامية ..... د. ياسين بن ناصر الخطيب
- ٢٠٥- دلالة الأسماء الحسنى على التنزيه ..... د. عيسى بن عبدالله السعدي
- ٢٠٦- الولاء والبراء بين الغلو والجفاء (في ضوء الكتاب والسنة) ..... د. الشريف حاتم بن عارف العوني
- ٢٠٧- المحو والإثبات في المقادير ..... د. عيسى بن عبدالله السعدي
- ٢٠٨- الطريق إلى نجاة الأولاد ..... د. عبدالله إبراهيم اللحيان
- ٢٠٩- الإسلام وتهمة الإرهاب ..... د. حسن عزوزي
- ٢١٠- رؤى تربوية تطويرية لمنهج الدعوة الإسلامية ..... د. حسن بن عايل أحمد يحيى
- ..... د. مسعود بن محمد القحطاني
- ٢١١- البلد الحرام - فضائل وأحكام ..... د. ضياء الدين محمد مطاوع  
إعداد كلية الدعوة وأصول الدين -  
جامعة أم القرى بمكة المكرمة
- ٢١٢- الوجود الإسلامي في أمريكا- الواقع والأمل ..... د. عثمان أبوزيد عثمان
- ٢١٣- مقاصد الشريعة تأصيلاً ونفعياً ..... د. محمد بكر إسماعيل حبيب
- ٢١٤- الصحة والصحابة رضوان الله عليهم «رسالة ..... أ. د. أحمد علي الإمام  
تأصيلية في تحقيق عدالة الصحابة وذكر فضائلهم»
- ٢١٥- آثار العولمة على عقيدة الشباب ..... د. عبدالقادر بن محمد عطا صوفي
- ٢١٦- المزاح في الإسلام ..... د. حسن عبدالغني أبوغدة
- ٢١٧- أصول المخالفين لأهل السنة في الإيمان ..... د. عبدالله بن محمد القرني  
- دراسة تحليلية نقدية -
- ٢١٨- دلائل الإسلام ..... أ. د. أحمد بن سعد الحمدان
- ٢١٩- الخواف الإسلامي بين الحقيقة والتضليل ..... د. عطية فتحى الويشي
- ٢٢٠- دلالة المثالات على التوحيد ..... د. عيسى بن عبدالله السعدي
- ٢٢١- الفتنة، معناها، والحكمة منها، في ضوء الكتاب والسنة. .... د. إبراهيم بن عبدالله الدويش
- ٢٢٢- المنهج التربوي النبوي في معالجة مواقف من أخطاء ..... أ. أحمد بن إسماعيل كتبي  
أفراد في المجتمع المدني من خلال كتاب (السيرة  
النبوية) لابن هشام المتوفى عام ٢١٨هـ.
- ٢٢٣- مسائل العقيدة ودلائلها بين البرهنة ..... د. السيد رزق الحجر  
القرآنية والاستدلال الكلامي.

- ٢٢٤- الحضارة الإسلامية وسطيتهما ..... أ. السيد أحمد المخزنجي وموقفها من الآخر.
- ٢٢٥- الشيخوخة وكيفية تعامل الإسلام مع متغيراتها ..... د. عبدالله بن ناصر السدحان
- ٢٢٦- العلاقات الثقافية الفكرية بين العالمين الإسلامي ..... د. مفرح بن سليمان بن عبدالله القوسي والعربي في العصر الحاضر - الحواجز والجسور - .
- ٢٢٧- التنصير في أفريقيا ..... د. عبدالرزاق عبدالمجيد أيارو
- ٢٢٨- أثر الإيوان في بناء الحضارة الإنسانية ..... د. أحمد معاذ علوان حقي
- ٢٢٩- التعريف بالإسلام باللغات الأجنبية ..... د. حسن عزوزي
- ٢٣٠- فلسفة الحرية الدينية - نظرة عقدية ..... د. لطف الله خوجة
- ٢٣١- البناء التربوي للمجتمع المسلم الفعال ..... د. هاشم بن السيد علي الأهدل
- ٢٣٢- ميثاق الإيمان ..... د. عيسى بن عبدالله السعدي
- ٢٣٣- مقدمة في مصطلحات الفقهاء عن ..... د. محمد ظاهر أسدالله المكي
- ٢٣٤- الأحكام الشرعية وأئمة مذاهبهم الأربعة، أصولهم الاجتهادية مدوناتهم الفقهية ومصطلحاتهم المذهبية. قضايا المسلمين في القصص الإسلامي المعاصر ..... أ. يحيى حاج يحيى
- ٢٣٥- «نصر الله امرء اسمع مقالتي ...» ..... د. عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالمحسن التركي «دراسة عقدية»
- ٢٣٦- السعادة والحياة «رؤية تربوية لمفهوم السعادة ..... أ. عبدالكريم بن عوض اللبيني وأسبابها في حياة المسلم المعاصر» السلمي
- ٢٣٧- الرفق في السنة ..... د. حسن محمد عبده جي
- ٢٣٨- الدين المعاملة ..... د. منقذ بن محمود السقار
- ٢٣٩- التجديد في عرض السيرة النبوية، مقاصده وضوابطه ..... د. محمد يسري
- ٢٤٠- ضوابط تشغيل النساء ..... د. عدنان حسن باحارث
- ٢٤١- الأثر التعليمي لفن الرجز ..... د. حسن محمد حسن محبوب
- ٢٤٢- أخلاقيات العمل (ضرورة تنمية ومصلحة شرعية) .... د. سعيد بن ناصر الغامدي
- ٢٤٣- النزاعات الأهلية في أفريقيا قراءة في الموروث ..... د. آدم بمبمب السلمي الإسلامي.
- ٢٤٤- القراءة التجزئية للنصوص الشرعية ..... د. سعد بن علي الشهراني وأثرها في افتراق المسلمين.
- ٢٤٥- المحكمات صام آمن الأمة وأساس الثبات ..... د. الشريف حاتم بن عارف العوني
- ٢٤٦- مواقف المستشرقين من دعوة الشيخ محمد بن ..... د. عبدالله بن عمر الدميحي عبدالوهاب الإصلاحية.
- ٢٤٧- العقيدة الإسلامية في القرآن الكريم، المنهج ..... د. عثمان جمعة ضميرية والأركان والخصائص.
- ٢٤٨- حادثة الإفك ودلالاتها الفقهية والأصولية ..... د. هاني أحمد عبدالرحمن عبدالشكور

- ٢٤٩- عقوبة المرتد وشبهات المعاصرين ..... د. عبدالله الزبير عبدالرحمن صالح
- ٢٥٠- الدخول في أمان غير المسلمين وآثاره في ..... أ. عبدالحق بن حقي بن علي التركماني
- الفقه الإسلامي

# هذا الكتاب

هذا الكتاب يبين المنهج الإلهي الشامل الذي يتفق مع فطرة الإنسان ويلبّي جميع متطلباته ، بل هو الفطرة ذاتها هو دين الوسطية والاعتدال بالمفهوم الناصع المشرق الذي يستند إلى أحكام الشريعة ويتخذها معياراً لهذه الخاصية المميزة ، بعيداً عن الإفراط والتفريط ، وعن الغلو والتقصير.

وقد تبدّت ملامح هذه الوسطية ومظاهرها في كل المستويات الفردية والأسرية والجمعية ، في العبادات والمعاملات والأخلاق ، وفي علاقة المسلم بربه وفي علاقته بالناس ، وفي علاقة الأمة بغيرها من الأمم على أساس من الحق والخير والعدل. وكان لهذه الخاصية أثرها في حمل الأمة لرسالتها والقيام بالدور المنوط بها ، وهي مدعوّة اليوم لمحاولة ذلك مرة أخرى لتقدم للإنسانية ما قدمه الأسلاف من الهداية والعلم والحضارة والإبداع.

ولئن واجه الإسلام والمسلمون أنواعاً من الحرب الفكرية والعقائدية ظهرت في كثير من التّهم الباطلة التي ألصقت بهما ظلماً وزوراً ، فإنّ ذلك يحمل أهل العلم والفكر والدعوة على القيام بواجب البيان لحقيقة الإسلام وتشريعاته ودعوته ، وردّ الشبهات والتّهم ، دون أن يكون ذلك سبباً للانزامية والتحريف أو التميع للنصوص والأحكام الشرعية وتأويلها بما يخدم الأغراض والأهواء.